روايات عبير

أشواك ناعمة

www.elromancia.com

مرموريـــة

No. 037

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

روايات عبير

أشواك ناعمة

كان من سوء حظ (كيسى) أن يضطر والدها لدخول المستشفى للعلاج لعدة أسابيع .. لكن كان من الممكن أن تكون الأمور أسوأ من ذلك.

وعلى أية حال .. فقد كانت كيسى على أتم استعداد لإدارة المزرعة بدلاً من الأب طوال فترة وجوده بالمستشفى. ولذا فلم تصدق أذنيها عندما أخبرها بأن هناك غريباً اسمه (فلينت ماكاليستر) سيقوم بهذه المهمة بدلاً منها .. فقط لأنها فتاة صغيرة.

لهذا السبب .. لم يجد المدير الجديد للمزرعة إلا كل فتور من جانبها عندما استقبلته لأول مرة .. لكن التعامل المباشر خلق بينهما ما يشبه الوئام .. ترى .. أيكون هذا مقدمات الحب..؟ والى أين سيجرفهما التيار ..؟

I.S.B.N. 977-376-110-X

9 789773 761103

W.Salama 01015173873

سوريا	٧٥ ل س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١,٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١,٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

No. 037

روايات عبير

أشواك ناعمة

جانيت ديلى

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

www.dvd4arab.com

اسم السلسلة : روايات عبير
اسم الكتاب : أشواك ناعمة
الاسم الأصلي: Bossman from Ogallala
اسم المؤلف: جانيت ديلي
رقم الايداع بدار الكتب المصرية: ١٥١٠٨/ ٢٠٠٥
الترقيم الدولي: I.S.B.N 977-376-110- X
تصميم وإخراج الغلاف: وائل سلامة
جمع اليكتروني: فور إتش ٠١٠/٦٦٧٤٣٢٥

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
٢٠٠٧

تطلب كافة منشوراتنا:
حلب: الجميلية أمام مسرح نقابة ـ ت: ٢٢٥٦٨٦٠
دمشق: مكتبة رياض العلبي ـ خلف البريد ٢٢٣٦٧٢٨

سوريا ـ دمشق ـ الحجاز ـ شارع مسلم البارودي هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص. ب ١٣٢٤٤ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر ـ القاهرة ـ ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت ـ شقة ١١ تلفاكس: ٢٩١٦١٢٢
Email:darkitab2003@yahoo.com

www.elromancia.com

روايات عبير 037

أشواك ناعمة

أخبار مزعجة

"أما من قبله للرجل العجوز اليوم يا كيسى؟"

قالها العجوز بصوت واهن من فوق سرير المستشفى. ارتسمت ابتسامة سرور على شفتى وكيسى جيلمور، وهى تتامل بعينيها الجميلتين الأحبال والأثقال التى شدت إليها ساق أبيها. طبعت قبلة حانية على جبينه ولاحظت ذلك الشحوب البادى على ملامحه. حتى الجرعة اليومية من مسكنات الألم لم تفلح فى محو ظلال الألم من عينيه البنيين.

ردت كيسى فى شىء من التوتر:

- أسفه لتأخرى يا أبى.

وألقت نظرة سريعة على أمها الجالسة بجوار السرير قبل أن تلقى بنفسها على الكرسى المجاور.

قالت أمها فى قلق:

- لقد بدأنا نقلق عليك لتونا يا كيسى.

وألقت نظرة فاحصة عليها فى قلق وترقب صار اسمه لها فى الأيام القليلة الماضية.

أجابتها كيسى:

- لقد تناولت طعامى مع "جونى" قبل أن يعود إلى "نورث بليت".

ثم أزاحت بيدها خصلة شاردة من شعرها فى توتر لا إرادى، وهى تشعر بأنه على الرغم من الخفة التى استقبلها بها والداها، فقد بدا وكأنهما كانا منهكين فى حديث جاد مهم.

أضافت وهى تغمز بعينها لأبيها:

- أرى أنك لم تبدأ فى مغازلة الممرضات بعد، أيها العجوز الشقى.

زفر جون جيلمون فى تنهد وقال:

- ولا يبدو أننى سافعل، مع هذه الأربطة التى تقيدنى والتى لن أتخلص منها إلا بعد ستة أسابيع! كم من مرة سقطت من على ظهر الحصان، لكن هذه المرة!! كيف حال المزرعة يا كيسى؟.

بدا القلق على وجه "كيسى" وحاولت تفادى نظرات أبيها الجادة. الحمد لله أن أمها قضت الأيام القليلة الماضية ملازمة لأبيها فى "سكوتسبلف" ولم تعلم بالأزمة الأخيرة التى حدثت.. إن أمها شفافة كالزجاج ولم تكن لتستطيع إخفاء شىء عن زوجها، وكانت ملامحها

لتفضحها مهما حاولت.

ردت كيسى:

- على خير ما يرام، سوى أن الجميع يفتقدونك بشدة.

وشبكت أصابع كفيها فى حجرها ورفضت أن تفكر فى مضخة الماء المكسورة أو فى الماشية العشرة المفقودة من مرعى "برنت هولو".

سألها أبوها وهو يتفحص وجهها فى اهتمام:

- ألست تخفين عنى شيئا يا كيسى؟

أجابته فى خفة:

- يا لفراستك! أهم ما حدث هو أن "إنجون" كسرت حدوته. كنت أتمنى أن تكسر ساقه لأطلق عليه النار ونرتاح من شقاوته!

قهقه الأب ضاحكا فى وهن ورد قائلا:

- كنت سأعمر لك البندقية بنفسى.

ثم ألقى نظرة سريعة على زوجته واكتست ملامحه بالجدية قبل أن يضيف:

- لقد زارنى "فريد لولر" من البنك هذا الصباح بعد أن انصرفت أنت وجونى.

غمغمت كيسى لنفسها فى تذمر:

- أوه! مشاكل أخرى!"

www.elromancia.com

كانت تعلم مدى تأزم موقفهم المالى بعدما هبط سوق الماشية بهذا الشكل الحاد. وأدركت من صوت أبيها أن صديقه القديم لم يزره بدافع الصداقة فقط.

علقت بصوت عال:

- لطيف منه أن يفعل.

رد أبوها وهو يتململ فى فراشه:

- أجل.. أجل. لقد عرض على أمرا كنا نتناقش فيه وأمك قبل أن تأتى. طبعا هو يعلم أننى سألزم الفراش لمدة ستة أسابيع إلى أن يلتئم فخذى المكسور وطبعا بعدها.. حسنا لم أعد شابا على أية حال. حتى مع الشريحة التى ركبوها فى عظامى، فلن تشفى عظامى العجوز إلا بعد وقت طويل.. وحتى ينتهى كل ذلك، فسيلقى عليك عبء إدارة شؤون المزرعة.

ردت "كيسى" فى سرعة:

- يمكننى تحمل المسؤولية يا أبى. لقد انتهينا بالفعل من تطهير الحيوانات وتختيمها وتطعيمها قبل أن تصاب. سينتهى "مارك" من دراسته قريبا وسيصبح بإمكانه مساعدتنا، حتى وإن كان لا يزال فى الخامسة عشرة. كما انك ستكون قد عوفيت وسيمكنك أن تشرف على شغل الخريف.

تبادل أبواها نظرة تعاطف أوحت بان كلامها غير مقنع.

لكنها واصلت:

- كما أن لدينا سام أيضا. ولو احتجت إلى أية مساعدة فانت تعلم أن "سميتى" لن يتاخر. أنا فى الحادية والعشرين يا أبى وانا أعرف كل شبر فى المزرعة فقد عشت فيها كل حياتى.

رد أبوها فى سرعة:

- لست اشك فى قدراتك يا بنيتى. لكنك تعلمين حجم الخسارة التى أصابتنا السنة الماضية بسبب العاصفة الثلجية التى ضربتنا، وبسبب أسعار الماشية التى هبطت بشكل فظيع. ولولا ارتفاع قيمة الأراضى الزراعية لما كان البنك قد وافق على منحنا ذلك القرض. وفريد لولر يعرفك جيدا، ولو كان الأمر بيده لكان وضع ثقته كلها فيك واعتمد عليك فى إدارة الأمور ولكن..

ولم يستطع مواجهة نظراتها لأكثر من ذلك فأشاح بعينيه بعيدا وهو يواصل:

- لكن البنك اقترح علينا أن نستأجر أحدا ليدير المزرعة إلى أن أستطيع الوقوف على قدمى من جديد.

عضت "كيسى" على شفتيها فى عصبية لكيلا يرتعد فكها السفلى.

زفرت فى تنهد ثم قالت فى مرارة:

- أكل هذا لأننى امرأة؟ لو كان جونى فى المزرعة لكان الأمر مختلفا، أليس كذلك؟

ردت أمها فى هدوء:

- لا تضايقى نفسك يا حبيبتى. إنها فقط طبيعة الأمور.

www.elromancia.com

أجابتها كيسى وهى تحاول تصنع المرح،

- لابد أن منظمات تحرير المرأة تعرف ما تفعله.

وحاولت أن تضحك لكن ضحكتها خرجت مخنوقة وأشبه بالصراخ وهى تنهض من كرسيها وتتجه نحو النافذة.

قال أبوها،

- لو كانت هناك احتمالات لشفائى عندما أعود إلى المنزل، لما كانوا اقترحوا ذلك. عليك مواجهة الحقائق يا كيسى.

ردت كيسى فى تذمر،

-لكنك الرئيس الوحيد الذى لم تعرف "انكوربار" غيره.. لا أدرى إن كنت أستطيع أن أتلقى أوامرى من أحد غيرك. ألا يمكنك إقناع السيد لولر. ألا يمكنك أن تقنعه بأن..

قاطعها أبوها فى حسم،

- هو يعرف رجلا من "أوجالالا" ذا خبرة فائقة وقدرات عالية. ولقد أوصيته فعلا بأن يتصل بالرجل ويرسله إلى المزرعة.

ثم أضاف فى لهجة ألطف،

- سأعتمد عليك فى مساعدته لإدارة الأمور بسلاسة يا بنيتى.

ردت فى مرارة،

- يعنى أتحملها كالرجال، صحيح؟ يمكنك أن تعتمد على يا أبى وأنت تعلم هذا جيدا.

ابتسم أبوها قائلا،

- كنت أعلم هذا، لكننى أشعر بتحسن الآن بعد أن سمعتها منك.

دلفت إلى الحجرة ممرضة تحمل فى يديها صينية وقالت،

- الآن يا سيد جيلمور.

ونظرت إلى كيسى وأمها نظرة أدركا منها على الفور أنهما يجب أن يغادرا.

خطت كيسى ناحية أبيها وطبعت قبلة سريعة على جبينه قائلة،

- ساتركك الآن يا أبى.. أريد أن أصل إلى المنزل قبل أن يعود مارك.

صمتت لحظة ثم أضافت،

- ذلك الرجل الذى سيأتى.. متى يجب على أن أتوقعه؟

رد أبوها،

- قال لى فريد أنه سيحاول أن يرسله على بداية الأسبوع.

رفعت كيسى حاجبيها ثم ابتسمت. كان ذلك يعنى أن أمامها خمسة أيام لترتب الأمور.

وعدته قائلة،

- سنزورك أنا ومارك يوم الأحد؟ سلام.

ثم تبعت أمها خارجة من الغرفة.

فى الخارج توقفت قليلا مع أمها التى التفتت إليها قائلة،

www.elromancia.com

- تفهميه طبعا يا كيسى أن والدك ليس فى وضع يسمح له بمجادلة البنك؟

ردت كيسى فى إحباط:

- أجل وإن كنت لا أحب ذلك.

تنهدت أمها وقالت لها فى لهجة معتذرة:

- لو شئت الحقيقة فأنا سعيدة. لم أكن أحب أن تتحملى المسؤولية كلها بمفردك، ليس والأمور بكل هذه الصعوبة.

ردت كيسى فى خفة:

- سيصبح كل شىء على ما يرام يا أماه، اهتمى أنت فقط بأمر أبى واتركى المزرعة والريس الجديد لى.

ردت أمها فى أسى:

- لطالما قلقت عليك كل هذه السنين وأنت غارقة فى هذه الأشكال التى لا تنتهى. والآن وبعد أن استقر جونى فى العمل لشركة السكك الحديدية بدلا من أن يتولى شؤون المزرعة مثلما كنا أنا وأبوك نخطط، لا يسعنا إلا أن نفرح لأنك أصبحت هكذا.. وعندما ينتهى كل ذلك ويعود جون إلى المنزل..

ثم احتبس صوتها ولم تستطع أن تكمل عبارتها.

ندت من كيسى ضحكة خافتة محتبسة احتباس صوت أمها. فما كانت أى منهما تستطيع مناقشة ذلك الموضوع الذى يشغل باليهما،

موضوع ذلك الرجل الملقى فوق سرير المستشفى وقد كسرت عظمة فخذه. حتى عندما سألت لوسيل جيلمور عن أحوال ابنها الأصغر مارك، فإنما كانت تسأل باعتبار أنه لولا وجود زوجها فى المستشفى لكانت عادت إلى المنزل مع ابنتها.

تبادلتا القبلات ووعدتها لوسيل على مضض بأنها ستعود معها هى ومارك إلى المنزل فى المرة القادمة عندما يأتيان لزيارة أبيهما يوم الأحد. وأدركت كيسى أن أمها تشعر بأنها ممزقة بين رغبتها فى البقاء بجوار طفليها. وكانت تعلم أنه رغم الضعف البادى على أمها، فإنها امرأة قوية من داخلها.

عند مغادرتها للمستشفى، أخذت كيسى تحدث نفسها بأن تمر على أخيها فى "نورث بليت" لتتناول معه الغداء وتحاول من جديد مناشدته العودة إلى المزرعة فى مثل هذه الأزمة المستجدة. لكن كان عليها فقط أن تتذكر رفضه بعناد لذلك الاقتراح. كان جون قد حاول أن يحقق رغبة أبيه فى تعلم إدارة شؤون المزرعة ليتولى هو الإدارة يوما ما، لكن بعدما انتهى من دراسته التحق بالجيش. وأثناء خدمته بالخارج كتب إلى كيسى ليخبرها بأنه قرر ألا يعود للعمل مع أبيه. وانتهت مدة خدمته فى الجيش فى صيف العام الماضى ولم يضع وقتا فى إخبار والديه بأنه سيعمل فى شركة الخطوط الحديدية فى "نورث بليت".

وأضيفت خيبة أمل الأب والأم فى ابنهما إلى الانتكاسات العديدة التى تعرضت لها المزرعة، لكنهما لم يفصحا أبدا عما كانا يشعران به إزاء كل ذلك. لكن كيسى أحست بمدى الألم والإحباط الذى كان يشعر به أبوها وهو يوافق على أن يختار ابنه الأكبر طريقه فى الحياة بنفسه. وتمتمت

www.elromancia.com

بينها وبين نفسها بأن تستطيع أن تقنع أخاها بالعودة، ولو مؤقتا، عندما تتناول الغداء معه اليوم.

لكن جونى أجابها فى خجل وتعاطف:

- لقد اخترت طريقى من قبل. أعلم أن أبى لن يقف فى طريقى أبدا. لكن ألا ترين مدى إحساسى بالذنب لأننى خذلته؟ أعلم كم كان يعتمد على. وإن عدت الآن فسأجعله يبنى آماله على من جديد. لنواجه الواقع يا كيسى، أنت مشغولة بهذه المزرعة أكثر منى.

لكن عبارته التالية جعلت كيسى تحجم عن إخباره بأن هناك من سيأتى لإدارة المزرعة.

قال لها:

- لو ساءت الأمور يا أختاه يمكن استئجار شخصا أكثر خبرة منى.

بعد ثلاثة أميال من انعطافها فى الطريق المؤدى إلى المزرعة شاهدت كيسى شاحنة تستدير خارجة من مزرعة "سميث". أبطأت كيسى سيارتها ثم أوقفتها وأنزلت زجاج النافذة وابتسمت مرحبة بذلك الشاب الذى توقف بجوارها وترجل من كابينة الشاحنة متجها ناحيتها.

سألها "سميث":

- هل عدت لتوك من المستشفى؟

أومأت له كيسى برأسها وهى تتأمل ذلك الوجه الذى صبغته الشمس بلون بنى داكن وقد بدا شابا مفعما بالحياة ووسيما إلى حد كبير. كان "سميث"، أو بالأصح "دون سميث"، هو الابن الوحيد لروبرت وجو

سميث، أقرب جيران عائلة جيلمور. كان سميث فى الثالثة والعشرين، فى نفس عمر جونى أخى كيسى. ولا تزال كيسى تتذكر جيدا كيف كانت تسير فى أعقاب "الولدين" حتى بلغت السابعة عشرة عندما بدأ سميث يهتم بها على نحو مفاجئ. وعلى عكس جونى، كان كلاهما يشتركان فى حب الحياة فى المزارع وفى عشق الرياضات والحيوانات.

أجابته كيسى بابتسامة عذبة:

- أبى يتحسن قليلا. صحيح أنه لا زال يتألم كثيرا، لكنه كما تعرفه لا يشتكى أبدا.

رد سميث فى خفة:

- سنزوره يوم الأحد. كيف حال المزرعة؟

ردت كيسى فى وجوم:

- تعطلت مضخة الماء فى البئر رقم عشرة. حاول سام أن يصلحها، لكنه لا يجيد التعامل مع المحركات. كنت أتساءل إن..

قاطعها ضاحكا:

- إن كنت أستطيع أن آتى لألقى نظرة عليها. بكل تأكيد سأفعل. لقد أعطانى أبوك العجوز الضوء الأخضر لأتيك فى أى وقت تحتاجيننى فيه. هل استطعت إقناع جونى بالعودة؟

تنهدت كيسى فى أسى وأجابته:

www.elromancia.com

- لا.. وليس هذا كل شيء. فريد لولر من البنك يرتب الآن لحضور أحد الرجال إلى المزرعة لإدارتها حتى يقف أبى على قدميه مرة أخرى.

رفع سميث حاجبيه فى دهشة وسحب نفسا عميقا دون أن يتكلم. لقد كانت معرفته الطويلة بطبائع كيسى تجعله يدرك كيف سيكون رد فعلها على هذا.

أضافت مقطبة:

- لا يثقون فى النساء.

رد سميث يغيظها:

- يبدو أن صغيرتى كيسى المسكين المستقلة ستضطر أخيرا إلى تلقى أوامرها من ريس كبير متسلط.

تألق الغضب فى عينيها فأضاف فى خفة:

- لكننى سعيد بذلك فلست أريد لفتاتى العزيزة أن تبقى مقيدة بالمزرعة طوال أربعة وعشرين ساعة لما تبقى من الصيف.

وودت كيسى لو كانت قد أحست بالإطراء من كلامه، لكنها لم تستطع أن تتقبل أبدا فكرة أن يأتى شخص غريب ويضع يده على كل شيء فى مزرعة "أنكوربار". ولهذا فلم تسعفها روح الدعابة فى هذا الموضوع.

سألته فى حدة:

- كيف سيكون شعورك حينما يأتى شخص غريب ويبدأ بإلقاء

التعليمات عليك.. فى مزرعتك الخاصة؟ لكنك لست امرأة فلذا لن يحدث هذا لك أبدا.

رد فى خفة:

- إيه يا كيسى، لا تأخذى الأمر على محمل شخصى. لن يدوم ذلك الوضع إلى الأبد.

أجابته فى تذمر:

-وأنا التى كنت أظنك ستتفهم موقفى.

رد فى سرعة:

- طبعا أنا متفهم لموقفك يا عزيزتى، لكن لن يجدى أن تزعجى نفسك بأمر لا يمكنك تغييره. وبالمناسبة لقد كنت أطير اليوم فوق المرعى الغربى، وأظن أننى رأيت هذه الرؤوس العشرة التى تفتقدينها وقد اختلطت بماشيتى.

تنهدت قائلة:

- ومعنى ذلك أن السور قد انهار فى مكان ما.

وأحست بالارتياح لأنها عثرت على ماشيتها أخيرا ولم يصبها سوء كما كانت تخشى وتتوقع.

عرض عليها سميث قائلا:

- سأقابلك هناك غدا وسنفحص المكان معا.

أجابته فى لطف:

www.elromancia.com

- شكرا لك. اريد أن يكون كل شيء فى أحسن حال عندما يأتى هذا الرجل.

سألها فى اهتمام:

- من هو؟

هزت كتفيها قائلة:

- رجل ما من أوجالالا. يستحسن أن أذهب الآن. أريد أن أعود إلى المنزل قبل أن يعود مارك من المدرسة.

أجابها وهو يدق بخفة على السيارة:

- لقد مرت بى الحافلة منذ نصف ساعة تقريبا.

ثم تحرك ناحية الشاحنة وأضاف:

- بالمناسبة، لقد كان بيننا موعد ليلة السبت، ألا زال قائما؟

ردت فى لطف:

- سأضطر للذهاب يومها مع مارك. لماذا لا تأتى أنت إلينا؟

ثم رجعت بالسيارة إلى الخلف وانطلقت إلى الطريق سميث يشير لها بالموافقة.

بعد ميلين من السير على الطريق المغطى بالحصى انعطف كيسى فى المدق الذى يقود على ساحة المنزل الريفى. وبخريزتها جابت عيناها التلال المتدحرجة وعشب البرارى اليانع وقد بدأ لونه يتغير من الأخضر الربيعى إلى الأصفر الخريفى الذى يشبه لون القش. وبقع اليوكا الأكثر

دكنة، والمجاثم الحمراء الداكنة التى تبيت فيها ماشية الهيرفورد التى يملكونها فى المزرعة. كانت التلال تمتد دون انقطاع من الأفق إلى الأفق، وكل حين وآخر يقطع خط الأفق بعض طواحين الرياح الساقطة. وعندما تتبعت عيناها المسار المتعرج لأحد التلال الذى يبدو من ظاهره أكبر، رأت كيسى ذلك الوادى الصغير المفتوح أمامها والمبانى التى تشير إلى المنزل وقد رقدت فى حضن الجانب الشمالى للتلال، مما مكن التلال من أن تحميه من عواصف الرياح الشمالية الباردة.

ومن تحت المدخل الخشبى للمنزل، ومع الصوت التى أحدثته السيارة عندما توقفت أمام المنزل فى بطئ، اندفع كلب ذو أصل مختلط إلى درجة انه دائما ما كان يثير الجدل. كانت أذناه مدببتين، وشعره طويل وأشعث بينما كانت جبهته عريضة وأنفه طويلا، وهز ذيله الحرش فى سعادة. وكان الجميع متفقين على أن بأصله شيء من سلالة راعى الغنم، لكن بعد أى نظرة واحدة على صبغته السوداء فى البنى تجعل كل من يراه يتساءل إن كان مهجنا من كويوت أو الراعى الألمانى أو كليهما، لكن الكلب "شيب" خائفا هزيلا واهن العظم. وما عاد الآن هزيلا من كيلو جراماته الخمس والتسعين التى أحست كيسى بثقلها وهو يندفع ليرتمى فى حضنها، إذ كانت أحب أفراد الأسرة إليه.

- لماذا لم تتأخرى أكثر من هذا؟

قالها مارك فى سخرية وهو يقف على عتبة الباب ينظر إلى أخته وهو يكاد يبكى.

أضاف:

www.elromancia.com

- لقد تضورت جوعا. ألا يمكننا الذهاب الليلة إلى المدينة ونتناول بعض شطائر البيتزا؟

سألته كيسى وهى تتجاهل شرهه الشديد للطعام:

- هل قمت اليوم بالأشغال المعتادة؟

رد فى تذمر:

- لا. لقد عدت لتوى.

ردت كيسى فى لهجة ذات مغزى:

- لقد أخبرنى سميث أنه رأى الحافلة تمر من أمام بيته منذ نصف ساعة تقريبا، ومعنى ذلك أنك لابد قد أتيت على الشطائر التى أرسلتها لنا السيدة باركر مع نصف الجالون من اللبن فى الثلاجة. كان من المفروض أن يعطيك ذلك من الطاقة ما يكفى لتقوم بأشغالك.

هز كتفيه وقال وهو يخلع حذاءه:

- لقد كنت جائعا جدا.. كيف حال أبى؟

تمتمت فى ابتسام:

- بخير على ما أظن.

سألها فى مكر:

- أيجب أن أذهب غداً للمدرسة؟ ألا يمكن أن تأخذينى معك لأراه وتكتبى لى إذناً بالغياب؟

ردت فى سرعة:

- مارك! إن الغد هو الجمعة ولن يؤذيك أن تذهب إلى المدرسة ليوم آخر قبل العطلة الأسبوعية! كما أن الأبعاد القادم هو آخر أيام الدراسة قبل الإجازة الصيفية.

ثم هرولت تصعد سلالم المنزل وتضيف:

- هيا أسرع وانته من هذه الأشغال الآن.

نزل مارك السلالم مغمغماً فى تذمر وخطا ناحية أكبر المبانى الثلاثة التى تشكل مع المنزل المبانى الوحيدة فى المزرعة.

نادته كيس قائلة:

- لا تنس أن تحضر ذلك السرج الليلة لكى تغسله.

ثم فتحت الباب ودلفت إلى المنزل.

على منضدة المطبخ كان هناك دورق اللبن الفارغ وبجواره كوب زجاجى رسم بقرب حافته شريط دقيق أبيض اللون وسط فتات البسكويت.

هزت كيسى رأسها فى يأس وشرعت فى تنظيف المنضدة لاشك أنها ستكون سعيدة للغاية عندما تعود أمها فأكره ما كانت تكرهه بعد الطهى والتنظيف، هو غسيل الأطباق لقد كان من حسن حظها هى ومارك أن جيرانهما لم يتأخروا فى تزويدها بالحلل والكسرولات المليئة بالأطعمة المعدة مسبقاً، بعدما لازمت أمهما أباهما فى المستشفى منذ يوم الاثنين حين وقعت الحادثة، ومع ذلك فإن مارك قد التهم الليلة آخر ما

www.elromancia.com

تبقى من آثار كرم جيرانهما!! خطت كيسى ناحية الحوض ثم تاوهت فى أسى عندما أدركت أنها نسيت أن تخرج بعض اللحم من الثلاجة لعشائهما الليلة.

بعدها بساعة دلف مارك إلى المطبخ وألقى نظرة على كيسى التى كانت تكافح لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من طعامهما الذى لفحته نيران الموقد وهى تغمغم فى تذمر بينها وبين نفسها وتنقل أطباق الطعام المحترق من الموقد إلى المنضدة، ثم هز رأسه غير مصدق.

سألها فى وجوم:

- ألم يكن أفضل لو كنا ذهبنا إلى المدينة وأكلنا؟

رمقته بنظرة غاضبة فأضاف:

- لا أدرى كيف يمكن لماما أن تنجب أسوأ طاهية يمكن أن يتخيلها إنسان؟!

سحبت كرسياً وجلس عليه وهى تصيح فيه:

- اخرس وكل فى صمت!

جلس مستسلماً بينما جلست هى وهى تحاول ألا تديم النظرات فى منظر الأكل المقزز أمامهما.

نهض مارك ليفتح باب الثلاجة ويتناول زجاجة من الكاتشاب وقال:

- متى ستعود أمى إلى المنزل؟

ردت فى اكتئاب:

- ليس قبل يوم الأحد.

والتقت أعينهما ثم نهضا فى نفس اللحظة واقفين.

أسرع مارك يقول:

- يمكننا أن نتعاون معاً فى تنظيف المطبخ خلال عشر دقائق ونصل إلى المطعم فى المدينة خلال ساعة.

www.elromancia.com

الـدخيـل

لوحت كيسى بيدها تودع مارك وهو ينطلق فى رحلته اليومية كان يقطع كل يوم خمسة أميال تقريباً من المنزل إلى الطريق المهد بالحصى حيث يستقل باص المدرسة وكان مارك يؤمن بشدة بالحكمة الغربية القائلة،

(لماذا تمشى وأنت تستطيع أن تركب؟) وكان بعد الأيام التى تبقت حتى حلول يوم ميلاده السادس عشر عندما يستطيع الحصول على رخصة قيادة فلا يعود مضطراً لاستقلال الباص تنهدت كيسى فى نفسها وهى تقول لنفسها أن ذلك اليوم لم يعد بعيداً، كلها خمسة أشهر فقط.

كان سام ولفر العامل الأجير لديهمن يصلح بالفعل حدوة أحد

الأحصنة بجوار عدة الحدادة المحمولة الخاصة بالمزرعة وفى حركة لا إرادية تدحرجت نظرات كيسى إلى الجواد المربوط فى القانم المجاور.. كان إنجون جو ذلك الحصان الذى ألقى بأبيها من على ظهره تأملته من ظهره وأعجبت مرة أخرى بنية الجواد الرائعة كان جلده البنى الغامق بلون القهوة يتألق تحت ضوء شمس الصباح بينما كان ذيله الأقرب إلى السواد يهتز يمنة ويسرة بهش الذباب عن ساقيه أدار الجواد رأسه جانباً ينظر عندما سمع وقع قدمى كيسى على الأرضية التى اختلط رملها بحصاها لم تستطع أن تقاوم تلك الارتعاشة اللاإرادية التى سرت ببدنها وهى تحدق فى وجه الجواد الأبيض كله تقريباً إلا من بعض البقع البنية على وجنتيه.

(حصان هجين) هكذا كان أبوها يقول عنه، وكانت كيسى توافقه على ذلك خصوصاً كلما نظرت إلى عينيه فإحداهما كانت بنية والأخرى زرقاء.

كان مجرد التقاء نظراتها بنظرات الجواد يثير توترها ولطالما حاولت إقناع أبيها ببيعه لكنه كان يشير دائماً إلى مدى فائدته فى رعى البقر وكان ذلك صحيحاً فلربما كان (إنجون جو) هو أفضل جواد فى المزرعة فى هذا الشأن ففى كل مرة يكون فيها قرب الماشية، ما عليك إلا الجلوس على ظهره والاستمتاع بأدائه فى العمل أما فيما سوى ذلك فلم تكن كيسى ترتاح له بالمرة ففى أى وقت آخر لا يمكنك التنبؤ بما يمكن أن يفعله ذلك الجواد الغريب، كما لا يمكنك أن تعتمد عليه للقيام بأبسط المهام.

ويوم الحادثة حاولت كيسى أن تقنع أباها بان يأخذ حصانها الخاص عندما ذهب ليفحص البئر القريبة من المرعى، إذ كان حصانه المفضل مصاباً فى قدمه لكن العجوز اصر على ركوب (إنجون جو) والذى لم يكن أحد قد امتطى صهوته منذ دورة الربيع، اى قبل شهر تقريباً ولازالت كيسى تذكر، إن كانت لا تريد أن تعيش تلك اللحظات مرة أخرى كيف عاد الجواد بعدها بثلاث ساعات إلى الفناء وليس على ظهره أحد عندها أطبق الفزع على صوتها وخدر حواسها ولحسن حظها فقد كان (سميتى) بالجوار، إذ كانت ركبتاها ترتعدان وهى تمتطى صهوة جوادها لدرجة أنها لم تستطع أن تسيطر عليه وبهدوء أعصابه سيطر (سميتى) على الموقف وبث فى روعها شيئاً من الهدوء مكنها من أن تفتفى اثار أبيها بينما تبعها هو فى شاحنته.

ووجدا أباها العجوز يحاول أن يزحف ليعود إلى المدق الرئيسى فى المرعى، وقد شحب وجهه من شدة الألم وحكى لهما ما حدث وكيف أن الحصان أخذ يرفس فى خفة عندما وصل إلى المرعى وكيف أن جون جيلمور ظن أن الحصان قد هدأ ليجده بعدها ودون سابق إنذار يحرن ويرفس فى عنف إلى أن ألقى به فى النهاية من على ظهره فى عنف شديد.

نفضت كيسى تلك الذكرى المؤلفة عن رأسها فى صعوبة وهرولت تجاه حصانها الذى كان للركوب وتبعها الحصان فى استسلام ولطف عندما التقطت زمامه وقادته تجاه الشاحنة حيث كان الكلب بالصعود إلى صندوق الشاحنة ففعل ودلفت هى خلف مقعد القيادة ثم أطلقت

نفير السيارة مرتين ولوحت لسام لتخبره بأنها ستنصرف كان سام يعمل عندهم من فترة طويلة، حوالى عشرة أعوام الآن، إلى درجة أنه لم يعد بحاجة لأن يخبره أحد بم يفعل أو متى يفعله وطالما الأمر بعيد عن المسائل الميكانيكية فإن سام ولفر يستطيع أن يفعل أى شىء فى المزرعة، ويفعله بإتقان كذلك.

سام الصامت هكذا كان يسميه مارك لم يكونوا يعرفون الكثير عنه لم يبدو عليه أن له أية أسرة ليهتم بها كان قد رفض العديد من عروضهم عليه بان يبيت فى الأسطبل وفضل أن ينام فى مقطورة ركنها بجوار إحدى بحيرات المزرعة، وهى أشبه بالبرك الكبيرة لا البحيرات لم يكن سام يتحدث كثيراً مع أحد، ومن هنا جاءت تسميته بسام الصامت، لكن عندما يتحدث فإنما يفعل ذلك الأمر مهم أو لإعطاء معلومة مهمة كان موقفه تجاه النساء يتسم بطابع غربى قديم ويعاملهن بأقصى درجات الاحترام واللطف ولطالما رأت كيسى فى أسلوب تعامله مع أمها ما يشبه العبادة كان طويلاً ونحيلاً وخجولاً وخبير بكل أسرار أمنا الطبيعة وما بها من نباتات وحيوانات ولطالما أخبر كيسى بالكثير عن مختلف النباتات التى تنمو فى (ساند هيلز) وكيف كانت تستخدم من قبل الهنود الذين كانوا يملأون المنطقة ذات يوم وعن ثيران البيسون التى كانت تسود البرارى وبأعداد تصل أحياناً إلى الملايين.

عندما وصلت كيسى تقريباً إلى بوابة مرعى (برنت هولو) رأت عاصفة الغبار التى أثارتها شاحنة سميتى وهى تقترب من الاتجاه المضاد أوقفت شاحنتها ونزلت حصانها (تالى) وبدأت تفتح البوابة، بينما لم

www.elromancia.com

يضع سميتى بدوره وقتاً وانزل هو الآخر جواده وقاده عبر البوابة كان كلاهما يعلم أن العمل يأتى أولاً، ثم الكلام فيما بعد، وما إن أغلقا البوابة بإحكام إلا وامتطى كل حصانه وانطلقا و(شيب) يعدو أمامهما فى مرح.

ظلا يسيران بحذاء السياج لبعض الوقت فى صمت إلى أن قطع سميتى ذلك الصمت قائلاً:

- ما الذى قاله مارك عندما أخبرتيه بأمر ذلك الرجل القادم إلى المزرعة؟

أجابته فى خفة:

- أنت تعرف مارك جيداً لقد كانت أكبر مصائبه أن علم أن طوله لن يزيد بعد ذلك أبداً.

وقهقهت ضاحكة فى بشاشة قبل أن تستولى تقطيبة على جبينها، ولم يكن سببها شمس الصباح المشرقة.

أضافت:

- بدا مرتاحاً لأنه لن يكون هناك عمل كثير له هذا الصيف أعتقد أنه رد فعل طبيعى من شاب صغير مثله.

رد سميتى يغيظها:

- هكذا تقول العجوز الحكيمة بخبرة سنين عمرها الطويلة!

احتقن وجهها خجلاً وغضباً وبعد قليل صاحت فى حماس:

- ها هى الفجوة فى السياج!

وأشارت إلى نقطة أمامهما مباشرة حيث كانت تقف شجرة بجوار السياج وبدا أن برودة الشتاء الشديدة مع الحرارة القائظة فى الصيف قد جردتها من أوراقها ونزعت عنها لحاءها رأيا أحد الفرع بحبالهما وبدا يسحبان الفرع بعيداً عن السور.

وعندما أزاح الفرع عن السياج أخذا يزيحان جانباً قطع الأسلاك الشائكة المكونة للسياج وقد التفت بعضها على بعض ركبا حصانيهما مرة أخرى وعبرا الفتحة وقد أشار سميتى لها بالاتجاه الذى يعتقد أنه قد رأى ماشية أنكوربار فيه.

كانت التلال المنبسطة فى الظاهر تمتد أمام ناظريهما ومع ذلك فقد كان من الممكن أن يخفى أى منخفض بين طياته بقرة ناضجة أو حصان وراكبه. ومن حين لآخر كانت الريح القوية قد كشطت الحشائش عن وجه التلال وتركتها جرداء مغطاة بالرمل، ومن هنا جاء اسمها (ساند هيلز) أى تلال الرمل.

(أرض التيه) هكذا سمعت كيسى بعض الناس يطلقون عليها مع هذه السماء الشاسعة والتلال المتدحرجة التى لا تنتهى على مد البصر وتوحى بالعزلة الشديدة التى يبثها المكان فى نفس كل راعٍ لكن كيسى كانت تسمع همس الرياح، وموسيقى الطيور والوقع الهادئ لحوافر فرسها على الأرض الرملية الصابة بالعشب كانت حب الاستيقاظ فى الصباح الباكر وتشاهد أشعة الشمس وهى تخترق حجب الشبورة الصاحية، وتغسل ناظريها بمنظر ذلك المزيج الفسيفسانى من الألوان التى كانت أشعة الشمس تلقى به على الأفق الغربى فى نهاية كل نهار ذلك هو

www.elromancia.com

موطنها، لا عزلة ولا وحشة هنا وكيف يمكن أن يكون هناك اى شعور بالوحشة وهى تجد نفسها محاطة بالناس الذين تحبهم وبالمناظر والأصوات التى زين الله بها هذه الأرض؟

عندما بلغا قمة أحد التلال رأيا مجموعة من الأبقار ترعى فى الشعب الناضر الثرى الذى كان يكسو أرض الوحدة بأسفل عندما اقترب من الأبقار رفعت وجوهها فى قلق كان شيب يسير خلفهما فى صمت وقد انفرج فكاه فى ابتسامة سعادة وهو يلهث من الدفء، وأخذت عيناه الواسعتان تمسحان الأبقار فى اهتمام وهو ينتظر إشارة سيدته ليحيط بالحيوانات الشاردة.

همست كيسى قائلة:

- يمكننى أن أرى سبعاً من أبقارنا.

أومأ لها سميتى برأسه فى صمت وهما يحيطان بالقطيع ليريا ثلاثة أبقار أخرى وقد شردت قليلاً عن رفيقاتها أشارت كيسى للكلب فانطلق فى همة يحيط بالأبقار وينبحها ليجمعها معاً ثم غمز سميتى وكيسى حصانيهما ليفصلا أبقار (انكور) عن أبقار (بوكس إس).

صاح سميتى فى مرح:

- أكاد أجزم بأن هذا الكلب يستطيع قراءة أسماء وأنواع الأبقار.

ردت كيسى باسمة:

- أحياناً تشعر بأن له سمات غريبة.

كانت رحلة العودة إلى السياج أسرع من رحلة الذهاب ففى نصف الوقت تقريباً كانوا قد أدخلوا الأبقار فى مزرعة جيلمور قضيا ساعة أخرى يرممان الجزء المتهدم من السياج.

بادرت كيسى قائلة:

- معى ترمس ملىء بعصير الليمون فى الشاحنة.

وضع الزرادية فى جيب سرواله وأجابها قائلاً:

- ابنة حلال! أنا فى عرض كوب من العصير البارد.

ثم مسح بيده العرق الذى كان يغطى جبينه وأضاف فى مرح:

- هيا لنتسابق فى طريق العودة!

ولم تبال كيسى بقبول التحدى وإنما مسكت بزمام حصانها فى قوة وقوست ظهرها منحنية على السرج وأطلقت لحصانها العنان وسميتى فى أعقابها لا يفصله عنها إلا ثوان كان جواد سميتى فى مثل سرعة جوادها وظلا طوال معظم طريق العودة إلى الشاحنتين يعدوان جنباً إلى جنب يدوسان الأعشاب والأحراش الصغيرة أو يقفزان من فوقها ليوفرا الوقت لكن خفة وزن كيسى كانت عاملاً حاسماً فى تحديد الفائز وطبعاً كانت هى الفائزة.

صاحت فى مرح وسعادة:

- الخاسر يبرد الجياد!

رد ضاحكاً:

www.elromancia.com

- لا أمانع طالما الفائز سيصب عصير الليمون.

وترجلا عن جواديهما وقادهما سميتى فى لطف بعيداً وبعد قليل لحقت به كيسى وناولته كوباً من الليمون البارد وتناولت زمام فرسها منه وخطت بجواره وهما يدوران فى دورات صغيرة بطيئة ليبردا حصانيهما.

قال لها سميتى:

- لقد كنت أتحدث مع أبى ليلة أمس عن اتفاق أبيك على إحضار رجل ليدير المزرعة أثناء وجوده فى المستشفى وعندما بدأ أبى يطرح على الكثير من الأسئلة المتعلقة بتفاصيل لا أعلمها اتصل بأبيك فى المستشفى أتعرفين من ذلك الرجل الذى سيأتى ليدير المزرعة؟

ردت فى حدة:

- لا ولست أهتم.

أجابها قائلاً:

- فلينت ماكاليستر.

صمت قليلاً حتى تستوعب الاسم، لكن كيسى واصلت سيرها دون تعليق.

أضاف:

- تعرفين من هو، أليس كذلك؟

ردت فى برود:

- لا يمكننى أن أقول ذلك.

علق قائلاً فى دهشة:

- شركة ماكاليستر للأراضى والماشية فى أوجالالا! كل الرعاة فى الغرب يعرفونها جيداً!

تمتمت:

- آه هؤلاء.

رد سميتى فى إصرار:

- لا تقولى لى أنك لم تفاجئ بالخبر لقد سمعت بنفسك كيف كان بإمكان ماكاليستر الكبير أن يستولى على كل منطقة ساند هيلز ويمتلك أكبر إمبراطورية للماشية فى الولايات المتحدة خلال سنوات القحط لكنه بدلاً من ذلك، قام بمساعدة كل مربٍ للماشية يستطيع مساعدته، حتى أنه ضمنهم لدى البنوك بل إنه كاد يخسر نقوده بسبب آخرين وفلينت هذا القادم لكم هو حفيده.

لاحظ الإعجاب البادى على ملامح كيسى فتابع قائلاً:

- ألا تذكرين منذ عامين عندما اشترك فلينت ماكاليستر فى برنامج التبادل وقضى عاماً فى أستراليا يدرس طرق تربية الماشية فى براريها فيما يسمونه بالـ.. بالحطة؟

ردت فى اهتمام:

- آه أتذكر ذلك لابد أنه تنازل كثيراً ليأتى ليدير مزرعتنا الحقيرة

www.elromancia.com

التى لا تتجاوز الستة عشر ألف أكر.

صاح سميتى فى دهشة:

- يا إلهى! كيسى ألا تستطيعين التوقف عن تلك السخرية وإدراك حجم الفرصة التى أتيحت لكم؟! فكرى فقط فى ما يمكن أن تتعلموه من هذا الرجل أثناء وجوده عندكم! بل إنهم يقولون إن أباه سيعتزل ويترك لفلينت إدارة شؤون الشركة بالكامل!

ردت فى غضب:

- وكيف يمكنك أن تكون بكل هذا العمى؟! ألا تستطيع أن ترى كيف سيأتى هذا الرجل العظيم ليترأس علينا بغرور وغطرسة؟! إنك تتحدث الآن مع فتاة لن تسمح أبداً بأن يأمرها هذا الـ... علامة!

فلينت ماكاليستر.. فلينت ماكاليستر.. أحست كيسى بأنها لو سمعت هذا الاسم مرة أخرى فستنفجر غيظاً طوال الأسبوع المنصرم ظل هذا الاسم الكريه يتردد على شفاه جميع من زاروا أباها فى المستشفى وأخذت سعادة أبيها تزداد لحظة بعد أخرى لأن هذا الرجل سيأتى ليدير مزرعته وبدا وكأنه يشعر بالفخر لأن شخصاً عظيماً وكفء مثل فلينت ماكاليستر سيكون هو المدير الجديد لمزرعة (أنكوربار) ومما زاده رضا الحماسة التى أبداها زملاؤه المزارعون للفكرة وقد أثارت نبرات التوقير والرهبة التى علت أصواتهم كلما ذكروا اسم الرجل، أثارت امتعاض كيسى لقد كانوا يتحدثون عنه وكأنه رئيس الولايات المتحدة، أو أحد نجوم السينما.

كان جونى قد عاد إلى المنزل يوم الأحد وقد رفعت تلك الأخبار من معنوياته إذ أنها قضت على ذلك الشعور بالذنب الذى كان يعذبه ليل نهار لتخليه عن أبيه فى مثل هذه الظروف وأحست كيسى بأنها كانت على حق عندما أحجمت عن محاولة إقناع أخيها بمنع ذلك الرجل من القدوم، فقد كان جونى يؤيد تلك الفكرة بشكل كامل، وحتى مارك بدا شديد التحمس لذلك البطل المغوار فلينت ماكاليستر! وحتى أمها كانت فى غاية السعادة لقدوم هذا الرجل يبدو أن هذه العائلة قد جننت!

ذلك الصباح كانت كيسى فى مكتب أبيها تتحدث مع سميتى فى الهاتف حول المضخة المكسورة فى البئر رقم عشرة كانوا يسمونه مكتباً لأنه كان يحتوى على أوراق وسجلات أبيها مع مكتب خشبى لكنه كان فى الأصل غرفة للطعام ملحقة بالمطبخ لكنه لم يستخدم أبداً لهذا الغرض وإنما أصبح بكل بساطة مكتب المزرعة حيث وضع جون جيلمور دولاب أسلحته وزين الحوائط بجوائز الصيد التى ربحها، وكرسيه المفضل وفى السنوات الأخيرة أضيف إليه سرير صغير مع تزايد الأعمال المكتبية واضطرار أبيها لقضاء ساعات الليل الطويلة بداخله.

ما إن وضعت كيسى سماعة الهاتف إلا ودخلت أمها إلى المكتب تحمل فى يديها المنافض والمكانس وعبوات التلميع لم تلتفت كيسى لها كثيراً حتى سمعت أمها تقول من على عتبة الباب:

- هناك بعض الملاءات والبطاطين النظيفة على المنضدة فى الصالة إيمكنك أن تحضريها إلى هنا؟

سألتها كيسى فى اهتمام:

- ولم؟

ورأت أمها تزيح مفرش السرير.

ردت أمها فى بساطة:

- لأغير فراش السرير.

صمتت الأم قليلاً وتاملت المرتبة العارية فى شك ثم أضافت:

- لماذا لا تأخذى المرتبة إلى الخارج وتهوبها قليلاً؟ ويفضل أن تساعدينى فى إحضار دولاب جدتك من الأسطبل إلى هنا سنحتاج لمساعدة سام، لكن يمكننا انا وانت أن نحضر الدولاب الصغير الموجود فى غرفة الكرار.

وتجولت عينا الأم ببطء فى الغرفة وقد بدأت كيسى تدرك ما يحدث.

واصلت الأم كلامها قائلة:

- أعتقد أننا يمكننا أن نرتب الأثاث فى الغرفة بحيث تبدو مريحة وتتيح له مساحة واسعة وكافية لوضع ملابسه.

صاحت فيها كيسى فى دهشة:

- أتعنين أنه سيقيم هنا فى هذه الغرفة! لماذا لا يعيش فى الاسطبل حيث تقيم كل العمال الذين نستأجرهم؟ هل يجب أن يعيش معنا هنا فى داخل المنزل؟

ردت أمها فى نبرة شديدة:

- السيد كاليستر ليس عاملاً أجيراً يا كاساندرا.

ردت كاسى فى غضب ودهشة:

- لكن هذه هى غرفة أبى!

وانسالت دموع حرة غاضبة على وجنتيها عندما أدركت أن هذا الفلينت لن يكتفى باغتصاب مكانة أبيها فى المزرعة وإنما سيستولى أيضاً على مكتبه! واحتشدت فى حلقها كل كلمات السب والقذف الملونة بالمرارة والحقد وكادت تنفجر خارجة من شفتيها لولا أن أوقفتها تلك النظرة الصارمة الموبخة فى عينى أمها التى قالت فى حزم:

- كنت أظن أننا انتهينا من هذا الموضوع من حسن حظنا أن رجلاً كهذا وافق أخيراً على إدارة مزرعتنا.

صاحت كيسى فى حدة:

- أننى أكرهه!

صاحت بها أمها فى ذهول:

- كاساندرا جيلمورا!

وهرولت كيسى خارجة فلم تكن على استعداد لسماع محاضرة أخرى عن مزايا ذلك الفلينت.

نادت على سام لتخبره بأنه مطلوب فى المنزل واندفعت إلى كابينة الشاحنة وصفقت بابها وراءها وانطلقت بها السيارة فجأة وفى عنف عندما ضربت دواسة البنزين فى غضب ولمحت سام يقترب من المنزل ثم يرفع

www.elromancia.com

قبعته فى احترام للسيدة جليمور عندما خرجت ويدها على عينها لتقيها من الشمس تنظر إلى كيسى وهى تنطلق بالشاحنة ولم تذكر أنها انعطفت إلى الطريق المهد بالحصى ولم تنتبه كثيراً لصرخات إطارات الشاحنة وهى تنعطف جنوباً إلى الطريق السريع ولم يهدأ غضبها وتخف حدته قليلاً إلا بعد أن وصلت إلى تفريعة أجت فوسيل بيدز وهناك ضغطت على المكابح وأوقفت الشاحنة قرب الجسر المقام على نهر نيوبرارا ثم استدارت بالشاحنة وانطلقت فى طريق العودة إلى المزرعة.

ما عاد ينقصها سوى الفلينت ماكاليستر!! تستطيع أن تتخيله الآن وهو يرتدى واحدة من هذه البذلات الغربية الأنيقة مع قبعة ستيتسون بيضاء وحذاء جلدى برقبة ولابد أنه يرتدى كذلك رابطة عنق نحيلة ثبت فيها دبوس مطعم بالماس بتصميم فرنى مميز لطالما سمعت من قبل عن بارونات تربية الماشية هؤلاء وعن حديثهم المتعجرف التافه عن كم الأموال التى ربحوها والأموال التى فقدوها فى صالات القمار فى لاس فيجاس! لابد أن أبا هذا الماكاليستر كان فى غاية السعادة عندما تخلص منه بإرساله إلى أستراليا لمدة عام لكيلا يأتى على ثروة العائلة.

أجل لقد سمعت عن أحفاد هؤلاء الرواد الأوائل ومدى تدليلهم وفسادهم لابد أن هذا الرجل قد تعلم من زمن كيف يشوه سمعة العائلة بتصرفاته السخيفة لا عجب إذاً أن الشعوب الأخرى يتولد لديها انطباع بأن الأمريكان ما هم إلا حفنة من الحثالة المتعجرفين، هكذا حثت كيسى نفسها فى مرارة، وذلك بسبب هذه التفاهات العطنة من عينة فلينت ماكاليستر هذا عندما تشحن إلى الخارج وسط البرميل الأمريكى!!

لمحت فى المرآة الجانبية قطيعاً من الغزلان يرعى فى أحد المراعى بقرب الطريق أطلقت نفير السيارة ورأت رؤوسها الجميلة ترتفع فى قلق قبل أن تطلق سيقانها للريح وتفر مذعورة كان مؤشراً السرعة يشير إلى قرابة الستين كيلو متراً فى الساعة، ومع ذلك فقد كان القطيع يسبقها بخطوات قبل أن يزيد سرعته ويتوارى خلف أحد التلال.

كانت كيسى ترتقى أحد التلال عندما أعادت انتباهها إلى الطريق ورأت فجأة أمامها مقطورة أحصنة وشاحنة تسير ببطء شديد كان أمامها خياران لا ثالث لهما، أن تضغط على المكابح بأقصى قوة وتدعو الله ألا تصطدم بمؤخرة المقطورة، أو تحاول تجاوزها. وفى جزء من الثانية لمحت الطريق خالياً إلا من المركبة التى أمامها، وضغطت دواسة الوقود فى سرعة وأدارت المقود فى حدة لكى تضمن تجاوز الشاحنة والمقطورة قبل الوصول إلى التل التالى ولم يكن لديها أدنى شك فى قدراتها كسائقة فقد تعلمت القيادة منذ كانت فى التاسعة من عمرها.

ارتسمت ابتسامة رضا على وجهها عندما تجاوزت الشاحنة قبل التل القادم بمسافة كافية واندفع الهواء إلى كابينتها فى هدير يصم الأذان منحها شعوراً بالزهو والانتصار ولذا فلم تخفف سرعتها وفى منحدر التل قفز مؤشر السرعة إلى الثمانين ودون سابق إنذار سمعت كيسى صوت فرقعة فى نفس الوقت الذى التوى فيه مقود السيارة من يدها فى عنف حتى كادت تفقد السيطرة عليه لقد انفجر الإطار! قبضت على المقود بكل ما أوتيت من قوة وحاولت أن تسيطر عليه لتتخذ السيارة مساراً مستقيماً، وبدأت ترفع قدمها عن دواسة الوقود فى بطء فى ذات الوقت

www.elromancia.com

الذى أخذت تضغط فيه على الفرامل فى بطء شديد.

أخيراً توقفت الشاحنة على جانب الطريق كانت يداها وساقاها ترتعدان فى عنف لدرجة أنها لم تستطع الحركة أراحت رأسها على عجلة القيادة وهى توبخ نفسها لقيادتها السيارة بكل هذه السرعة وتحاول فى نفس الوقت أن ترفع من معنوياتها أو تطمئن نفسها بأن الإطار الاحتياطى لحسن حظها فى حالة جيدة فى اللحظة التالية انفتح بابها فى عنف ووجدت نفسها تحدق فى هاتين العينين الغاضبتين اللتين لم تر مثلهما من قبل يحدق فيها بكل هذا الغضب كانت العينان رماديتين ذكرتاها للحظة بالسحب السوداء التى تغطى أحياناً سماء ساند هيلز.

- أيتها المجنونة الغبية! ماذا كنت تريدين فعله بالسير بكل هذه السرعة؟ ماذا كنت تحاولين أن تفعليه، أن تقتلى نفسك!! أنتن أيتها النسوة اللاعين اللاتى تقدن بهذه السرعة خطر على كل سائق عاقل على الطريق! هكذا اندفع الرجل فى غضب.

ردت كيسى ساخرة:

- شكراً جزيلاً لك لكن لا، لم أصب بأذى شكراً لك على السؤال.

رد الرجل فى حنق:

- إن الطرف الآخر هو الذى يصاب فى الغالب لا أمثالك! أين رافعتك؟

أجابته فى تعال:

- أستطيع تغيير إطارى بنفسى.

وترجلت عن السيارة حاملة الرافعة وألقت عليه نظرة متعالية قبل أن تتجه ناحية الإطار الأمامى الأيمن أحست به يتبعها ولم تعبأ به وإنما وضعت الرافعة وركبت ذراعها وبدأت تضغط على الذراع حتى ارتفعت الشاحنة بدأت تفك الصواميل التى تربط الإطار المثقوب فى مكانه انفكت الصامولة الأولى على الفور لكن الثانية رفضت حتى أن تتحرك كانت تحس بعينى الغريب تكادان تخترقان مؤخرة رأسها وهو يشاهدها فى تلذذ أحمرت وجنتاها رغماً عنها وهى تضغط على المفتاح بكل ما أوتيت من قوة لعل هذه الصامولة العنيدة تتحرك، لكن أصابعها صرخت من الألم وهربت دماؤها دون أن تتحرك الصامولة من مكانها أو تبدى أى رغبة فى ذلك وقبل أن تستطيع منعه أزاحها الغريب جانباً والتقط منها المفتاح.

احتجت عليه فى غضب قائلة:

- يمكننى فعلها!

رد فى سخرية:

- طبعاً.. طبعاً.

وضرب يد المفتاح فى بساطة وحل الصامولة العنيدة.

أضاف فى تهكم:

www.elromancia.com

- لو كنت تريدين أن تكونى ذات نفع فاذهبى واحضرى الإطار الاحتياطى

قبضت كيسى كفيها فى غضب وهى تتجه ناحية مؤخرة الشاحنة وعندما عادت إليه بالإطار كان قد خلع الإطار فى مهارة وخبرة ولأول مرة أتيحت لها فرصة أن ترى فى وضوح ملامح ذلك الغريب الذى فرض مساعدته عليها رغماً عنها.

كان يرتدى قبعة رعاة البقر المصنوعة من القش وقد أزاحها قليلاً للخلف فكشفت عن شعر بنى تتخلله خصلات بنية محمرة كان يبدو عليه القوة والرجولة من جبهته العريضة وأنفه المستقيم وفكه العريض إلى ذقنه المربعة الظريفة.

بدأت بشرته مصطبغة بلون بنى قاتم من طول التعرض للشمس كان طويلاً بل طويلاً جداً بالنسبة إليها.

- تفضلى يا سيدتى.

قالها ونهض واقفاً بعد أن حل الرافعة وسلمها إليها كانت على شفتيه شبح ابتسامة واهنة، ونغدتين يمكن أن يكونا طابعى حسن على وجه أى شخص آخر، لكن على وجهه هو أحست كيسى بأنهما كانا يبرزان تلك السخرية النافرة من عينيه شاهدته وهو يضع الإطار المثقوب فى مؤخرة الشاحنة دون جهد يذكر بينما دست هى الرافعة فى مكانها.

قال لها فى بطء لما وجدها لم تشكره.

- لا شكر على واجب.

ردت فى حدة:

- لم أطلب منك مساعدتى.

لمس قبعته متصنعاً الاحترام فى سخرية وقال:

- غلطتى وأعدك بأننى لن أفعلها ثانية قودى سيارتك أبطأ من ذلك قليلاً فقد لا تكونى محظوظة بنفس القدر فى المرة القادمة.

قفزت كيسى إلى شاحنتها وأشعلت المحرك فى عجل كشرت تنظر فى المرآة الجانبية وضغطت على دواسة الوقود فى شدة وانطلقت فى سرعة كبيرة لن تنتظر أحداً، أياً كان ليعلمها كيف تقود!!

www.elromancia.com

اللقاء الثانى

دلفت كيسى إلى باحة المنزل بعد أن زودت السيارة بالوقود وفتحت الباب لتترجل من السيارة وما كادت قدماها تلمس الأرض حتى سمعت صوت سيارة أخرى تنعطف فى المدق الذى يقود إلى منزلهم ثارت عاصفة من الغبار وأخفت السيارة عنها فى اللحظات الأولى فلم تستطع أن تتبينها بوضوح لكن الكلب شيبا لم يشعر بألفة تجاه صوت السيارة فانتصب شعره وزمجر فى غضب ثم عدا ناحية السيارة فى شجاعة ليرى من يكون هذا الدخيل.

وقفت تنظر ناحية السيارة التى تجر خلفها مقطورة أحصنة، فى غضب وامتعاض لقد كان ذلك الغريب الذى فرض نفسه عليها فى طريق عودتها إلى المزرعة.

بادرته فى تهكم:

- لم يكن من الضرورى أن تتبعنى إلى هنا كان بإمكانى العودة دون مساعدتك.

رد فى صوت خفيض وبنبرة واثقة:

- أهذه مزرعة ال جيلمور؟

ردت فى حدة:

- أجل هى لكن إن كنت تبحث عن عمل فمن الأفضل لك أن تقود سيارتك وترحل من هنا فوراً فلسنا فى حاجة لأمثالك.

اصطدمت أعينهما فى تحدٍ وشيب يقف بينهما مزمجراً فى غضب للغريب الذى لم يعبأ به، وبرغم الغضب البادى فى عينى الغريب، فقد أحست كيسى بأن فى عينيه ما يشبه الاستمتاع بالمشهد كله وكأنها مجرد قطة صغيرة تحاول أن تعترض طريق أسد جبلى.

- أهذا صوت سيارة الذى سمعته؟

أتاهما صوت الأم من الداخل قبل أن تفتح باب المنزل وتخطو خارجه لترى الغريب يقف أمام الكلب الغاضب صفقت لوسيل جيلمور بيديها فى حسم وهى تأمر الكلب بالابتعاد عن طريق الرجل، بينما ألقت فى الوقت ذاته نظرة عتاب على ابنتها، خلع الغريب قبعته وانحنى فى أدب مجيباً السيدة جيلمور بابتسامة رقيقة.

خطا ناحيتها يسأل فى أدب جم:

www.elromancia.com

- أأنت السيدة جيلمور؟

ردت الأم فى ود لطالما تميزت به:

- أجل، أى خدمة أقدمها لك يا سيدى؟

أجابها فى أدب:

- أنا ماكاليستر فلينت ماكاليستر.

لفت الدهشة المرأتين لكنه كان مشغولاً أكثر بملاحظة رد فعل كيسى تدلت يداها فى بطء وانفتح فمها فى دهشة شديدة لم يكن الرجل بنفس الصورة التى تخيلت أن يكون عليها فلينت ماكاليستر الذى طالما سمعت عنه.

ردت الأم فى ارتباك:

- لم نكن نتوقع حضورك قبل منتصف الأسبوع.

أجابها فى لطف:

- أرجو ألا أكون قد جئت فى وقت غير مناسب.

ردت الأم فى سرعة:

- أبداً.. أبداً لقد أخرجت لتوى بعض أرغفة الخبز البيتى من الفرن والقهوة دائماً جاهزة تفضل بالدخول.

رد وهو يتحرك ناحية المقطورة:

- أحب أن اطمئن على حصانى أولاً، وبعدها سيسعدنى كثيراً أن

افعل.

ردت الأم فى لطف بالغ:

- ستريك ابنتى كاساندرا أين تضعه.

وأثار ذلك امتعاض كيسى كثيراً، أولاً لأنها نادتها بذلك الاسم الكريه، وثانياً لأنها لم تكن تهتم بالمرة بأن ترى هذا الرجل الكريه أى شىء فى مزرعتهم مع ذلك فما كانت فى وضع يسمح لها بإبداء أقل معارضة.

والتقت نظرتها المتمردة الرافضة للحظة بنظراته المتلذذة قبل أن تتحرك كيسى نازلة سلالم المنزل تخطو ناحيته سمعت صوت باب المنزل يغلق وعلمت أن أمها قد دخلت مرة أخرى أبقت نظراتها موجهة نحو الأرض وهى تتجه ناحية مؤخرة المقطورة حيث اختفى فلينت ماكاليستر وتجمعت كل عدائيتها تجاه فلينت ماكاليستر عندما علمت انه سيأتى ليستولى على مزرعتهم مع كل الغضب والمقت الذى شعرت به تجاه الغريب الذى أقحم نفسه عليها فى الطريق، تجمعا معاً فى كرة واحدة من الكراهية المتأججة وصارت عيناها كرتين من الجمر المشتعل تلقيان بشررهما عليه وهو يقود حصانه ينزله من المقطورة.

فى أى وقت آخر كانت كيسى ستقع فى حب الحصان كان من نوع الأبالوزا الأسود المزرق، وقد تخلل ذيله مسحة من الأبيض زادت سواد جلده بروزاً ولمعاناً الآن كل ما شعرت به تجاه هذا الحصان هو أن أى شخص يمتلك مالاً يمكنه شراء مثله ولو كانت فكرت فى الأمر من قبل،

www.elromancia.com

لكانت تخيلت أن رجلاً مثل ماكاليستر سيقتنى ولاشك واحداً مثله، حصان ضخم باهظ الثمن لتباهى به أمثاله ويتفاخرون بثرائهم.

قالت له على مضض:

- أعتقد أنك تريد غرفة خاصة لتضعه بها أحصنة المزرعة تتجول بحريتها فى الحظيرة ولا يوجد سوى بعض المظلات لينامو تحتها.

رد فى اقتضاب وبلهجة جافة:

- أنه فحل وأود لو ربط بمفرده لن يلزم اسطبل أو حجرة خاصة.

ردت وهى تتجه ناحية الخطيرة:

- يستطيع سام العامل لدينا أن يجد شيئاً لك لقد كان يعمل مع بعض الأفراس الصغيرة هذا الصباح.

تبعهما الحصان فى لطف ووداعة وهما يتجهان من ناحية المبنى كان سام يستند إلى أحد أعمدة الحظيرة وقد تدلت من بين شفتيه سيجارة ملفوفة باليد وهو يهمس بكلمات حانية فى أذن الفرس الصغير الذى بدا منتصباً فى اهتمام لكلامه اعتدل سام فى وقفته وقاد الفرس عبر البوابة المؤدية إلى المرعى ونهزه فى ذيله فانطلق يعدو فى الفضاء المفتوح.

عندما استدار ناحيتهما رمقته كيسى فى اهتمام تنتظر رد فعله تجاه الريس الجديد للمزرعة لكن وجهه الذى لا يشيخ أبداً لم يعكس ما كانت تجيش به نفسه وهو يمد يده مصافحاً الرجل تركتهما كيسى معاً وأولت ظهرها تنوى العودة إلى المنزل على ثقة من أن قلينت ماكاليستر سيلازم سام حتى يطمئن على حصانه لكنه استدار معها

قائلاً:

- لقد رأيت والدك هذا الصباح وتناقشنا معاً حول الأشياء لكننى سأكون ممتناً لك لو ساعدتنى فى الأسابيع القليلة القادمة يا كاساندرا.

نظرت كيسى إليه فى امتعاض ما الذى يفترض بها أن تفعله؟ تقبل قدميه لأنه تكرم عليها ورمى لها فتاتاً من الكعكة التى يجب أن تكون كلها لها؟ !

ردت فى سخرية مريرة:

- لطيف منك أن تقول ذلك وخصوصاً لامراة هل تتكرم بان تخبر أمى بأننى سأذهب إلى هاربسون لأصلح الإطار ساتغذى هناك.

رفع حاجبيه فى دهشة من كلامها، بينما انطلقت هى مبتعدة ليرحب به الآخرون كيفما شاءوا، أما هى فلا، فلن تجبر نفسها على اختلاق كلمات زائفة لا تشعر بها لتجامله إنه شخص متطفل ودخيل وغير مرغوب فيه.

عندما عادت كيسى من المدينة قابلت سميتى فى طريق عودتها إلى المزرعة أطلق نفير سيارته وتحرك ناحية مؤخرة شاحنته حيث لمحت موتوراً يبدو أنه أصلح محرك مضخة البئر رقم عشرة أشارت ليتبعها وانطلقت فى الدرب المؤدى إلى تلك البئر.

عندما وصلا سألها وهو ينزل المحرك ليضعه فى مكانه السابق:

- لماذا أنت متجهمة هكذا؟

ردت فى لهجة ذات مغزى:

- إنه هنا.

سألها فى لهفة:

- ماكاليستر؟ فلينت ماكاليستر؟

وتوقف لحظة وصفر إعجاباً ثم أضاف:

- والآن بعد أن قابلت الوافد الجديد ما رأيك فيه؟

ردت فى تهكم:

- إنه فقط طويل وهذا كل ما فى الأمر.

استدارت فى يأس واستندت إلى صندوق الشاحنة وأضافت:

- أوه يا سميتى، إنه أسوأ مما كنت أتخيل!!

هدأ سميتى من روعها فى لطف وأقنعها بأن تشرح له سبب ما قالته وحدثته عن لقائهما على الطريق السريع، وظل هو ينصت إليها فى هدوء ويداه مشغولتان بتثبيت محرك المضخة فى مكانه.

أنهت كلامها صائحة فى غضب:

- لقد كان بشعاً! لقد كان يعاملنى وكأننى فتاة مخبولة دون عقل يمكنك بكل سهولة أن تتخيل كيف ينظر إلى مسألة أن تدير أنثى مزرعة كاملة! بل إنه عندما طلب منى مساعدته كان يطلبها فى كبرياء واستبداد!

رد سميتى قائلاً:

- وكيف عرفت شعوره يا كيسى؟ لماذا لا تستطيعين ببساطة أن تقبلى بحقيقة أن الرجل يريد مساعدتك فعلاً؟ إن لديك عقدة نقص وإحساس بالدونية يا كيسى.

صاحت فيه فى غضب:

- لا لست كذلك.

رد فى لطف:

- لماذا إذا تأخذين كل ملحوظة تقال لك على أنها إهانة لبنات جنسك؟

ردت فى غضب:

- ليس هذا صحيحاً! كيف حدث كل ذلك أصلاً؟ لأننى لست رجلاً! ولهذا السبب اضطر أبى لاستئجار شخص هنا، ليرضى هؤلاء الخنازير المتسلطين الذين لا يعتقدون أبداً أن المرأة يمكنها أن تدير مزرعة بمفردها! وهنا.. هذا الرجل يتفق معهم أجل صدقنى.

هز سميتى رأسه فى يأس قائلاً:

- إنك متصلبة الرأى حقاً! عودى إلى المزرعة وعرفينى بهذا الطاغية الذى استولى على المزرعة.

ردت فى سخرية:

- بكل سرور!

www.elromancia.com

لكن الفرصة لم تتح لها لتفعل ذلك، إذ عندما عادا إلى المنزل أخبرتها أمها فى حدة أن السيد ماكاليستر قد ذهب بنفسه فى جولة ليتفقد المكان.

وبختها أمها قائلة:

- كان يجب عليك أنتِ أن تريه المزرعة يا كيسى.

وبرغم ذلك الوميض المتمرد فى عينيها فإن كيسى طأطأت رأسها فى إحساس بالذنب، إذ أن تأنيب أمها لها بهذه الطريقة المهذبة قد جعلها تشعر بالخجل من نفسها لتصرفها الطفولى ورغم كرهها لذلك، فقد غمغمت بما يشبه الاعتذار.

ردت أمها:

- لا يجب أن تعتذرى لى، بل للسيد ماكاليستر.

سألتها كيسى فى وجوم:

- ومتى سيعود؟

ردت الأم:

- لقد أخبرته أن العشاء سيكون الساعة السادسة.

تدخل سميتى قائلاً:

- حسناً، لا يمكننى التأخر حتى ذلك الوقت قد أمر عليكم فى المساء لألتقى بريس كيسى الجديد.

والقى نظرة مغيظة على كيسى التى لوت أنفها امتعاضاً من ابتسامته.

أضاف فى خفة:

- هل ستصحبيننى حتى الشاحنة؟

- كيف يبدو يا كيسى؟ صفيه لى.

سألها مارك فى إلحاح وهو يقف بجوارها فى حظائر الأبقار حيث كانت كيسى تحلب بقرتها ميزى.

أجابته فى زهق:

- لا أدرى طويل، ربما ستة أقدام أو نحو ذلك، أطول من جونى.

واصل أخوها فى إلحاح:

- كم عمره؟

ردت فى عدم اهتمام:

- وكيف يمكننى أن أعرف؟

ألح عليها قائلاً:

- أوه! خمنى يا كيسى.

هزت كتفيها قائلة:

- ربما فى بداية الثلاثينيات.

ثم ناولته كوب اللبن.

www.elromancia.com

ابتسم قائلاً فى حماس:

- يبدو ذلك ممتعاً!

صاحت فى دهشة:

- يا إلهى! مارك إنك تتحدث عنه وكأنه بول نيومان أو شون كونرى إنه مجرد ابن مدلل لواحد من أباطرة تربية الماشية.

سمعا صوت سيارة تتوقف فى الفناء فأضافت:

- يبدو أن هذا بطلك!

نهض مارك يعدو ناحية الباب والسطل فى يد لكن كيسى ذكرته بأن يتمهل حتى لا يسكب اللبن تلكات فى الحظيرة قدر ما استطاعت لكيلا تواجه ماكاليستر ثم توجهت أخيراً إلى المنزل فقد كانت الساعة السادسة تقريباً ويبدو أن استراتيجيتها فى التلكؤ قد جاءت بنتيجة إذ عندما خطت إلى المطبخ لم يكن هناك أثر لفلينت ماكاليستر وفى الحال شرعت كيسى تساعد أمها فى إعداد المائدة.

وبعدها بثوان دلف مارك إلى المطبخ يتبعه فلينت ماكاليستر.

وجاهدت كيسى فى صعوبة لتحول دون انزلاق نظراتها ناحيته وكانت تحس بالغضب والإحباط والرثاء لنفسها تتصارع جميعاً بداخلها ومع ذلك فقد كانت كل حواسها مضبوطة على موجته سمعت صرير الكرسى الذى سحبه ليجلس عليه، مع نبراته الواضحة الهادئة الواثقة التى أخذ يجيب بها على أسئلة مارك الكثيرة.

عندما انتهى إعداد كل الأطباق لم تجد كيسى أمامها سوى الجلوس هى أيضاً إلى المائدة كان الكرسى الوحيد الشاغر إلى يمينه ابتسمت له ابتسامة باهتة مصطنعة وهى تدرك جيداً مدى الزيف الذى يشع من عينيها أمسكت نظراته الرمادية بتلابيب نظراتها للحظات قبل أن يومئ برأسه رداً على ابتسامتها.

- حدثنا عن أستراليا.

انطلق صوت مارك يستحثه على الكلام فى ترقب وفضول.

أضاف:

- كيف هى شكل مزارع الماشية هناك؟

ومرت الوجبة بسرعة كبيرة إذ انطلق فلينت ماكاليستر يحكى له عما شاهده فى أستراليا وما حدث له هناك فى العالم الذى قضاه فى تلك البلاد البعيدة.

- حسناً يا سيدة جيلمور لقد كانت وجبة لذيذة.

هكذا قال فلينت وهو يحتسى آخر قطرة فى قهوته ثم يضع كوبه على الصينية فى ابتسامة لطيفة مجاملة.

ردت السيدة جيلمور:

- هذه الأسرة تستخدم الأسماء الأولى يا سيد ماكاليستر نادنى لوسيل من فضلك.

أجابها مبتسماً فى رقة:

www.elromancia.com

- إذن فانسى السيد ماكاليستر هذه ونادنى فلينت.

وشاهدت كيس ابتسامته وهى تحول ملامحه من السخرية الواثقة إلى وسامة تأخذ بالعقول.

أضاف:

- وحيث انها الليلة الأولى لى هنا، ومن المتوقع ألا تتاح لى مطلقاً فرصة أخرى للتحرر من الأعمال المكتبية، فأحب أن أظهر إعجابى لهذه الوجبة اللذيذة بالمساعدة فى رفع الأطباق وتنظيفها.

ردت كيسى فى برود:

- دائماً ما أترك ذلك لأمى.

علق مارك ضاحكاً:

- وهى تكره ذلك جداً.

فلينت بنظرة فيها تحد كبير:

- فى هذه الحالة إذاً يسرها أن تجد من يساعدها.. ولو لمرة.

وكادت كيسى ترفض مساعدته لكنها تخيلت منظره عندما يقف أمام حوض ملىء بالأطباق وقد شمر عن ساعديه منهمكاً فى غسلها، وراقت لها الفكرة كثيراً.

وبدأت عملية الغسيل فى صمت إذ اختار فلينت أن يغسل هو الأطباق ويناولها لكيسى التى تعرف أين يجب أن يوضع كل منها.

ثم قطع الصمت قائلاً:

- لقد لاحظت أن حقل التبن فى القطاع الغربى على وشك أن يقطع.

ردت موافقة فى امتعاض:

- أجل على بداية الأسبوع القادم على ما أعتقد قد يبدو مبكراً هذا العام، لكننا فى العام الماضى قطعنا الحقل فى الأسبوع الثانى من يونيو.

رد قائلاً:

- أظن أن طائرتكم لا تعمل أود أن ألقى نظرة على المزرعة من الجو لأخذ فكرة عن الشكل العام لها.

صمت لحظة وأحست أنه ينظر إليها قبل أن يضيف:

- أيمكننا استعارة طائرة من أحد جيرانكم؟

ردت فى برود:

- أنا واثقة من أن آل سميث سيرحبون بذلك لكن كيف سيكون شعورهم عندما يعيرونها لشخص غريب.

رد فى ثقة:

- لست أنوى قيادتها بنفسى لقد ذكرت لى والدتك أن قيادة الطائرة بالنسبة لك مثل قيادة أى حصان وديع طيع.

والتقت عيناه الرماديتان فى تلذذ بعينيها اللتين بدا فيهما الدهشة من كلامه.

www.elromancia.com

أضاف قائلاً،

- من الطبيعى ألا أرى من الأرض نفس القدر الذى يمكننى أن أراه وأنا أقود الطائرة.

ردت قائلة،

- هكذا متى تريد أن يتم ذلك؟

أجابها فى هدوء،

- غداً.

ردت فى تردد،

- سأرى إن كانوا يستطيعون إعارتها لنا فى الغد أم لا ربما يكونون فى حاجة إليها.

سمعا صوت باب يصفق بالخارج ومارك يصيح قائلاً فى حماس،

- هيه! سميتى! لقد توقعت أن تمر علينا الليلة ذلك الرجل الجديد بالداخل إنه فى المطبخ يساعد كيسى فى غسيل الأطباق يبدو أنه سيكون منافساً قوياً لك.

احتقنت وجنتا كيسى من كلام أخيها وكادت الأطباق تقع من يديها لولا أن سارع فلينت بإنقاذها قائلاً،

- يبدو أن هذا هو صديقك.

ردت فى تلعثم،

- إنه.. إنه سميتى أقرب جيراننا وهو الذى سنستعير منه الطائرة.

أجابها فى لهفة ذات مغزى،

- حسناً، يمكننا إذاً أن نتأكد الليلة إن كنا سنستطيع استعارة الطائرة.

انسابت سحابتان بيضاوان فوق الطائرة الصغيرة من طراز سيسنا بينما استرقت كيسى نظرة سريعة على ذلك الرجل الجالس إلى جوارها وفى الحال اصطدمت نظراتها بزوجين من الأعين الرمادية التى كانت ترقبانها فى اهتمام وزادت خواطرها اكتئاباً على اكتئاب كانا يطيران لما يزيد على الساعة الآن.

سألته فى برود،

- ما الذى تريد أن تراه أيضاً؟

رد فى بساطة،

- لنأخذ جولة أخرى فوق ذلك المرعى هناك فى القسم الجنوبى لكن انخفضى بالطائرة قليلاً هذه المرة.

أومأت له برأسها موافقة وانخفضت بالطائرة إلى ارتفاع ثمانمائة قدم فوق سطح الأرض، كان الطيران واحداً من أحب هواياتها إلى نفسها كانت تشعر بالحرية والتحرر من كل القيود الأرضية وهى تحلق بالطائرة عالياً فى الهواء.

قال لها فى هدوء،

- أنت طيارة بارعة.

أجابته فى هدوء ممائل:

- أعلم ذلك.

رد قائلاً:

- لقد قال لى أبوك أنك شخص لا يمكن الاستغناء عنه، ولقد لاحظت أنه ليس من ذلك النوع الذى يقول شيئاً لا يؤمن به.

وافقته قائلة فى بساطة:

- أجل هو كذلك ها هو التل المنضدى هناك والمرعى على الجانب الأخر تماماً.

واصل كلامه قائلاً:

- لقد بدا وكأنه يعتقد انك تستطيعين إدارة المزرعة بمفردك بمنتهى الكفاءة.

أجابته فى ثقة:

- أجل أستطيع ذلك اظن انك كنت تريد تفحص المزرعة؟

أجابها وهو ينظر عبر النافذة:

- جزئياً.

سألته فى دهشة:

- ماذا تقصد بجزئياً هذه؟

رد فى لهجة جادة:

- أعتقد اننى بحاجة للتعرف عليك أكثر يا كاساندرا أعتقد اننى لو حاولت أن أحاصرك فى المزرعة فستهربين منى بسهولة كما فعلت بالأمس.

تلفت حوله ينظر فى الطائرة ثم أضاف:

- لابد أن تعترفى بأنك لا يمكنك الهرب منى هنا فى الطائرة.

ردت فى حدة:

- اسمع يا سيد ماكاليستر، لنتكلم بصراحة انا لا أريدك هنا فى المزرعة لم تكن تلك فكرتى ولا فكرة أبى إنك هنا فقط لأن البنك يريد أن يوجد رجل هنا ولأكون صريحة معك فانت لم ترق لى كثيراً قبل أن القاك، والأن فلازلت.

قاطعها مكملاً:

- لازلت لا اروق لك.

صاحت فى سخرية:

- يا لسوء حظنا نحن الاثنين!

رد فى بساطة:

- لو أن شعورك تجاهى سيكون على هذا النحو باستمرار فسنقضى قرابة الشهر ونصف فى محنة.

ثم نظر إليها متسائلاً واضاف:

- أو يمكنك تقبل حقيقة اننى هنا بكل مؤقت بدلاً من ابيك.

www.elromancia.com

غمغمت فى ضيق:

- ولا يمكنك ابداً أن تملأ مكانه!

رد قائلاً فى هدوء:

- الأمر كله يتوقف عليك أنت يا كاساندرا يمكنك أن تعامليني على أنني دخيل أو مزارع زميل مثل جيرانك آل سميث وفى كلتا الحالتين أحب أن أذكرك بالمثل الهندى القديم الذى يقول (لا تحكم على رجل ابداً حتى تسير عشرة أميال فى صحبته).

شددت قبضتها على مقود الطائرة فى عصبية وتوتر من تفلسفه المتغطرس.

صحيح أن جزءاً من عقلها أدرك مدى صواب مقولته، لكن معظم مشاعرها كانت تشمئز من أى حاجة للكلام معه.

أجابته قائلة فى برود:

- كما تقول يجب علينا كلينا أن نتعاون لتمر هذه الأزمة على خير هل أوجه الطائرة فى طريق العودة إلى المزرعة؟

- أخبرنى عن هذا الوافد الجديد يا سميتى، لقد حدثنى أبى عنه بشكل عام، لكن ما شكله، صفه لى.

هكذا سأل جونى الذى مر عليهم فى المستشفى يوم الأحد لزيارة أبيه كان فلينت قد أوصلهم بالسيارة للاطمئنان على والديه، أما سميتى فقد وافاهم هناك فى المستشفى وخرج ثلاثتهم لتناول العشاء معاً.

رد سميتى بعد أن ألقى نظرة استنكار على كيسى:

- بكل تأكيد ليس هو ذلك الغول الذى صورته لى أختك إن فلينت شاب رائع حقاً لقد زرت المزرعة عدة مرات هذا الأسبوع أقسم بالله يا جونى انه ليس هناك أسلوب جديد فى تربية الماشية ليس لفلينت علم به أو لا يستطيع أن يحدثك بكل مزاياه وعيوبه لكن دون استعراض أو غرور وإنما ببساطة العارف.

كما انه لا يحدثك أبداً بكبرياء أو غرور.

سأل جونى أخته مبتسماً ابتسامة ذات مغزى:

- أهو وسيم يا كيسى؟

ردت فى ضجر:

- لو كان أمثاله يعجبونك.

ضحك سميتى قائلاً:

- لا تصدقها إنه شخص وسيم ولطيف واجتماعى إلى حد كبير.

غمغمت كيسى فى ضيق وامتعاض:

- أنتما مثيران للقرف!

سألها جونى فى تلذذ:

- ما الذى فعلناه لنستحق ذلك منك؟

هز سميتى رأسه قائلاً:

www.elromancia.com

- لا تشغل بالك بها كل ما عليك أن تذكر اسم الرجل أمامها لتشتاط هى غضباً أو مرة قابلته كانت على الطريق السريع وانفجر إطار سيارتها بسبب سرعتها الزائدة ويبدو أنه وبخها على فعلتها ومن يومها وهى لا تطيقه.

احتجت كيسى قائلة:

- ليس لهذا علاقة بذلك!

ثم فتحت حقيبتها ودست يدها فى حقيبتها وأخرجت حفنة من الأوراق المالية وضعتها على الطاولة فى حدة وقالت فى غضب:

- سأذهب لأرى أبى ها هو حساب العشاء يمكنكما أنتما الاثنان البقاء هنا كما شئتما.

ونهضت من مكانها فى حدة وانصرفت دون تردد.

خطأ غير مقصود

كان اليوم حاراً بشكل غير معتاد وفى هذا الوقت من السنة، وتنهدت كيسى فى ضجر وهى تتساءل فى نفسها إن كان هذا الإحباط الذى تشعر به راجع للشمس التى ظلت مسلطة عليها طوال النهار أم إلى عدم جدوى غضبها وتمردها فى السنوات الماضية كانت تستمتع بأيام حصاد التبن، رغم كل ما يسببه من مشقة، وكانت تستمتع باستنشاق الهواء المعبأ برائحة التبن المقطوع حديثاً أما هذه المرة فقد زمت شفتيها فى امتعاض وضجر طوال اليوم، ولم تلاحظ حتى وجود هذه الرائحة.

كل هذا بسبب هذا المستبد فلينت ماكاليستر وقد كان كل أمر يوجهه إليها يثير أعصابها إلى أن أحست فى نهاية اليوم بأنها على وشك الانهيار وأياً كان ما كانت تفعله فقد أحست بأنه لم يتوقف عن مراقبتها انتظاراً لأية هفوة أو سقطة حتى يستل سكينه ويذبحها

www.elromancia.com

بتعليقاته السخيفة لكنها كانت قدها وقدود لقد استيقظت قبل الجميع، رغم تاخرها فى النوم فى الليلة السابقة، وبقيت فى الحقول بعد انصراف الجميع وتشهد على ذلك كل عضلة فى بدنها المنهمك الآن كل ما كانت تريده هو أن تهرب.

تسلقت سلالم البيت فى إرهاق ونادت قائلة:

- اماه! اماه!

ثم دفعت الباب وتوجهت نحو المطبخ.

اجابتها أمها وهى تستدير لتنظر إليها:

- هل انتهيتم جميعاً؟ لابد انكم قد أجهدتم جميعاً.

ردت كيسى وهى تتظاهر بالمرح:

- أيمكنك أن تضعى بعض الطعام لى فى حقيبة؟ سأذهب إلى البركة.

تاملتها أمها لحظات فى تفكير ثم قالت:

- طبعاً يا حبيبتى سافعل.

ثم أضافت فى لهجة الطف:

- الم تتصالحى مع فلينت بعد؟

نظرت كيسى إلى أمها فى شعور بالذنب وبدلاً من أن ترد اخبرتها بانها ستصعد إلى غرفتها لتستبدل ثيابها.

وفيما بعد وعلى طول الشاطئ الرملى للبركة، أقامت كيسى

مخيمها بينما أطلقت حصانها يرعى فى العشب الثرى بالجوار كانت أحجار النيران السابقة المقادة فى نفس المكان لا تزال فى مكانها تحيط بما تبقى من رماد تلك النيران، وتناثرت فى الجوار عيدان الحطب الجافة وخلال دقائق اشعلت ناراً صغيرة وألقت بسنارتها فى البركة، وجلست على بطانية السرج وقد ثنت ركبتيها لتسند رأسها المرهقة إليها كانت عيناها تترقرق فيهما دموع الإحباط التى تجمعت تنتظر الإذن بالانهمار.

وأقسمت بينها وبين نفسها أنها لن تسمح لهذه الدموع الطفولية بالانهمار من عينيها وحتى عندما عطست تتفادى دمعة كادت تسيل أقسمت ألا تدع فلينت ماكاليستر يتسلل تحت جلدها ويؤثر عليها لكن لم تكن المسألة تتعلق به هو، قدر ما هى تتعلق بكونها تقف وحيدة فى مواجهة شخص مثله ففى البداية تخلت عنها أسرتها ثم سميتى والآن سام كيف ستحاربه إذاً بمفردها؟! أطلقت آهة ضجر وضيق عندما سمعت صوت حصان يقترب منها.

فكرت قائلة لنفسها:

- لو كان مارك قد تبعنى إلى هنا فساعطيه علقة لن ينساها! لابد انه بالخارج يقتفى أثر بطله المزعوم!

ودعكت عينيها بسرعة لتمسح الدموع التى تجمعت على خديها.

لكنه لم يكن مارك، بل فلينت.

سألها:

- هل اصطدت شيئاً؟

www.elromancia.com

وانفجر بركان من الغضب بداخلها ونهضت على قدميها فى ثورة بركانية.

صرخت فيه قائلة:

- أيجب أن تتبعنى فى كل مكان! لماذا لا تتركنى وشأنى!

رد فى هدوء:

- لقد رأيت دخان نارك ولم تكن لدى فكرة أنك هنا، لذا فإن أول ما طرأ على ذهنى هو أن العشب قد اندلع به حريق.

كانت لهجته صارمة جافة وكان يجب أن تنتبه كيسى لذلك، لكنها لم تفعل.

ردت وجسدها كله ينتفض فى غضب:

- وها أنت رأيت أنها ليست حريقاً فى العشب، لماذا لا تمتطى حصانك وترحل من هنا؟!

خطا ناحيتها والشرر يتطاير من عينيها وصاح بها قائلاً:

- هل ترين هذه؟

سألته فى صوت مرتعش:

- هذه؟

ونظرت إلى حيث أشار حيث كانت وردة فى شجيرة تمتلئ بالأشواك.

أمرها قائلاً:

- اذهبى واقطفى لى هذه الزهرة.

ردت فى ذهول:

- هل جننت؟ إنها كلها أشواك!

أجابها فى غضب وحدة ولكن بهدوء:

- وأنا ظللت مرغماً على تحمل كل أشواكك أيتها الشوكة الصغيرة التى يسمونها كيسى! إننى لم أطلب هذه الوظيفة إلا بقدر ما تمنيت أنت أن يصاب أبوك لكننى هنا الآن وسابقى هنا!

ردت فى غضب وعنف:

- وأنا أعد الأيام التى ستنقضى قبل أن ترحل من هنا!

ردت فى امتعاض وتقزز:

- يبدو أن أباك قد علمك الكثير عن تربية الماشية، لكنه لم يهذبك كما ينبغى!

أشاحت بيدها صائحة:

- لا تتكلم عن أبى بهذه الطريقة!

وانهالت دموعها وهى تضيف:

- إنه أفضل أب فى العالم كله سافعل أى شىء من أجله وسيفعل هو أى شىء من أجلى.

رد وهو يرمقها فى برود:

- أخطأت فى هذا يا كيسى إنك أنانية إلى درجة لا تجعلك تفعلين

www.elromancia.com

اى شيء من أجله.

ردت فى صوت أشبه بالبكاء:

- كذاب!

رد متهكماً:

- حقاً؟ إنك لا تستطيعين إقناع نفسك على ان تتصرفى معى بذوق فضلاً عن أن تتصرفى بود لو كان الخيار بيد ابيك لكان قد جعلك انت تديرين المزرعة لكن كلانا يعلم انه لم يكن بوسعه ذلك إنك لم تسمعيه يشتكى إنك انت الخاسرة الوحيدة فى الموضوع كله، ولا أحد يحب الخاسرين.

لم تستطع مواجهة نظراته وأخفضت نظراتها إلى حذائه وحاولت أن تجادل نفسها فى شجاعة بأن ما قاله غير صحيح، لكنها أحست بأنها ليست إلا حشرة ضئيلة لا نفع منها لا مفر من الاعتراف بذلك، فما هى إلا فتاة مدللة انانية وناكرة للجميل لا تقدر قيمة الأشياء التى تملكها رفعت رأسها لما سمعت صوته يمتطى جواده وبوجهه ناحية المنزل.

- فلينت.

نادته بصوت ضعيف لكنه سمعها أوقف جواده ونظر إليها.

- أنا.. أنا.. آسفة على الطريقة التى تصرفت.. بها.. معك.

ومدت يدها مصافحة معتذرة:

تقبل يدها فى لطف قائلاً:

- قد لا نكون أصدقاء يا كيسى لكن علينا ألا نكون أعداء!

ضبطت نفسها تتأمل ملامحه الوسيمة واحمرت وجنتاها خجلاً وخطت للخلف قليلاً من تل قريب مجاور أتاهما صهيل حصان رد عليه حصانه على الفور.

قال لها:

- لم أر ذلك الحصان من قبل فى المزرعة.

ردت قائلة:

- إنه حصانى ميركورى.

ثم صفرت وشمخت برأسها زهواً عندما أقبل الحصان فوراً تجاهها مستجيباً لصفيرها.

أضافت قائلة:

- إنه فى السابعة عشر تقريباً لا يبدو عليه ذلك أليس كذلك؟

ونظرت إليه تنتظر رده ثم أضافت:

- إنه أول حصان حقيقى امتلكه، أول حصان لا أضطر لضربه لكى يفعل ما أريده منه.

نظرت إليه فى تردد وهى تتساءل إن كان سيعتقد أنها طفولية وساذجة ولكنه بدا ينظر إليها فى اهتمام ودون سخرية:

واصلت كلامها قائلة:

- لقد كنت دائماً خشنة فى تعاملاتى.

www.elromancia.com

ضحك قائلاً فى لطف:

- كنت؟

ضحكت بدورها قائلة:

- أوهوو! لقد كنت أحب التظاهر بأن ميركورى فرس هندى ولطالما ركبته دون سرج أو لجام وكنت اقوده بركبتى وكان ذلك ينفع فى معظم الأحيان.

رد قائلاً:

- لكنه يبدو بحال جيدة لفرس فى مثل عمره.

أجابته فى شىء من الأسى:

- لكن اسنانه بدأت تتساقط بشكل مخيف الآن وأبى يقول انه على الربيع القادم لن تبقى أسنان فى فم ميركورى.

داعب الحصان الأبيض بأنفه جيبها يتشممه بحثاً عن قطع من السكر قد تكون كيسى نسيت أن تناولها له ولما لم يجد شيئاً استدار وعدا فى تؤده ناحية التلال التى أتى منها.

غمغم فلينت فى نبرات تقريرية:

- لابد أن يحدث ذلك يوماً ما.

تنهدت كيسى فى عمق وهى تقول:

- أعلم ذلك..

واردفت بابتسامة خفيفة فمن عيشتها فى المزرعة كانت تعلم أن

دورة الحياة لا تنتهى أبداً، ولا أحد يمكنه إيقافها لقد تعلمت أن تتقبل ما ليس فى وسعها تغييره، برغم ما فى ذلك من صعوبة.

كانت تجربة جديدة عليها أن تتحادث معه بكل هذه السهولة، وإن كانت تجربة مربكة ولكنها ممتعة ففى هذه اللحظات القليلة جعلها فلينت تشعر بأنها مهمة، وربما لهذا السبب عندما تركها وانصرف أحست بأنها تشعر بشىء من الوحدة.

- لا! لا لا!

سمعت كيسى صوت مارك يصيح عندما خطت بعد ذلك بقليل إلى المنزل وفتحت باب المطبخ.

كان يقف أمام المنضدة ويمسك بيده ورقة اخذ ينظر فيها فى دهشة ويهز رأسه يمنة ويسرة فى ذهول عندما سمع وقع أقدامها أدار لها وجهاً عابساً واجماً.

صرخ متابعاً:

- كيف لأمى أن تفعل هذا بى ثانية!

سألته وهى تمد يدها تتناول الورقة ولمحت فلينت يدخل:

- ما الذى تتحدث عنه؟

شرح لها فلينت الموقف قائلاً دون أن تسأله:

-لقد مرت بنا السيدة جراسيك هذه الظهيرة وعرضت على أمك أن تأخذها إلى المستشفى لزيارة والدك وقد تركت هذه الورقة لتشرح لكما لماذا لن تكون هنا الليلة على العشاء.

www.elromancia.com

ألقى مارك بنفسه على كرسى المطبخ قائلاً فى أسى:

- لن أكل من طعام أختى المقرف! لقد تحملته طوال أسبوع عندما أقامت أمى مع أبى فى المستشفى. إنها معجزة أننى لم أمت بتسمم غذائى!

صاحت فيه كيسى وقد توردت وجنتاها:

- مارك!

لكنه واصل حديثه قائلاً:

- صدقنى يا فلينت لن تقابل فى حياتك طاهية أسوأ من كيسى إنها حتى حاولت ذات مرة أن تصنع لنا بعض الجيلى من علبة من التى تباع فى المحلات لكنها وضعت فيه ماءً كثيراً جداً واضطررنا لشربه بدلاً من أكله.

أجابه فلينت بعينين ضاحكتين:

- يفضل أن نغير الموضوع يا مارك.

ثم أضاف مخاطباً كيسى التى اشتاطت غضباً من كلام أخيها:

- قبل أن تفكرى فى محاولة الدفاع عن نفسك، لقد خطر لى أن نذهب إلى روبنسون ونتعشى بأحد المطاعم هناك.

صاح مارك فى سعادة بالغة:

- مدهش!

وسألها فلينت:

- هل هذا يناسبك يا كيسى؟

ولأول مرة فى حياتها تمنت كيسى لو كانت تستطيع أن تتقن الطهى مثل أمها.

ولم تجد ما تفعله سوى أن أومأت له برأسها موافقة فى صمت وغادرت المطبخ قبل أن تنهال من عينيها دموع الغضب والإحساس بالإهانة.

- هذا المبنى الضخم الأبيض الذى هناك كان فى الماضى المقر الرئيسى للبريد.

أشار لهما مارك وهو يقودهما إلى تلك المبانى التى كانت ذات يوم ثكنات عسكرية ولكنها تحولت الآن إلى فندق وقاعدة طعام للسياح.

أضاف قائلاً:

- لكنه تحول الآن إلى متحف لقد كانت هذه فعلاً ذات يوم قلعة شهيرة، وليس فقط خلال فترة استيطان الغرب، لكن فى الحربين العالميتين كذلك.

كانت كيسى تعلم أن مارك أصبح شغوفاً بتاريخ فورت روبنسون ولم يبال فعلاً إن كان ذلك يهم فلينت أم لا فسيسمع عن تاريخ القلعة شاء أم أبى.

أكمل مارك كلامه قائلاً فى حماسة:

- على الجانب الآخر من الطريق السريع الذى جئنا منه توجد المنطقة التى قتل فيها الرئيس كريزى هورس أنتم تعلمون من هو ذلك الرجل الذى كان من الثور الجالس فى كستر زلاند ستاند وقتل وهو يقاوم

www.elromancia.com

الجنود الذين كانوا يحاولون إنزاله بالقوة فى قبو وهو نفس المكان أيضاً الذى أتى إليه هنود التشايين يقودهم (السكينة التالة) عندما قروا من معزلهم فى أوكولاهوما وعندما رفضوا العودة إلى أوكلاهوما وتضوروا جوعاً فى محاولة لإجبارهم على رحلة العودة الطويلة فى عز الشتاء حاربوا بشراسة ليهربوا من القلعة طبعاً معظم الناس يعرفون كل هذه الأشياء.

واشاح بيده،

ضحك فلينت وهو يسأل كيسى،

- كيف تفصلونه؟

ردت فى مرح،

- لا تستطيع عليك فقط أن تنتظر حتى ينتهى من إفراغ كل التسجيلات فى رأسه بعد أن ينفد الغاز منه.

ونظرت إلى وجه أخيها الذى علته امارات الإحراج واخرجت له لسانها تغيظه.

رد مارك يدافع عن نفسه،

- حسناً لقد كان مكان مشهوراً جداً على أية حال.

علمت كيسى الكثير عن فلينت تلك الليلة خلال نزهتهما فى قلعة (فورت روبنسون) وكذلك خلال رحلة العودة الطويلة إلى المنزل حدثها عن أبويه وجديه وعن إخوته الثلاثة وأخته الرضيعة وبدا لوهلة أنهما قد اقتربا كثيراً أحدهما من الآخر، أو على الأقل ذلك ما كانت تشعر به

كيسى لكن وصولهما إلى انكوربار خنق هذا كله إذ وجدا سميتى فى انتظارهما وقد بدت على وجهه أمارات الضيق والضجر الشديد ولم يحاول مداراة انزعاجه من مصاحبتها لفلينت على العشاء، حتى وإن كان مارك معهما ولأول مرة أحست كيسى بأن موقف سميتى التملكى هذا لا يروق لها.

وما زاد الطين بلة أن فلينت تعامل مع موقف سميتى من كيسى باعتبار امتلاكه لها حقيقة لا تقبل الجدل، وانسحب فى هدوء إلى مكتبه.

وهكذا فقد انتهت تلك الأمسية التى بدت فى أولها واعدة مبشرة إلى أمسية حزينة مريرة على الأقل كان هذا يمثل شيئاً بالمرة لفلينت وحاولت أن ترغم نفسها على تقبل حقيقة أنها مجرد تسلية بالنسبة له أما الذى أثار حيرتها فعلاً، وطيلة الأيام الثلاثة الماضية هى حقيقة شعورها ناحية فلينت ماكاليستر كان ذلك هو السبب الحقيقى الذى جعل كيسى تمتطى جوادها وتنطلق إلى مرج بوكا بمفردها كانت فى حاجة للتفكير بهدوء وبشكل منطقى ووضع الأحداث الماضية فى إطارها الصحيح أما مسألة إلقاء نظرة على العجول المولودة حديثاً، فقد كانت سبباً ثانوياً لمشوارها هذا أوقفت حصانها تالى على قمة التلال على بعد أقدام من الحافة لتتأمل بانوراما التلال المترامية أمامها لكن لفت انتباهها صوت أنات خافتة وصورة شىء صغير بنى وأحمر اللون تراءى أمام عينيها بأسفل.

لم تكن كيسى فى حاجة لأن تنتصب أذنا حصانها فى اهتمام، لكى تدرك أن تلك الأنات التى حملتها إليها الرياح تصدر من نفس الشىء البنى

www.elromancia.com

المحمر بأسفل أدارت حصانها ناحية الجانب المنحدر من التل ونغزته ليتخذ طريقه إلى أسفل حيث العجل وطوال الرحلة إلى مكان العجل أخذت تتلفت حولها لعلها تلمح أمه فقد كانت تعلم مدى خطورة البقرة التى تدافع عن صغيرها.

لكن من الغريب أنها لم تجد أية أبقار فى المنطقة بقى إذاً احتمال واحد فقط، لابد أن الأم هى بقرة لم يتجاوز العام ولم تنضج غريزة الأمومة لديها بعد.

أوقفت كيسى حصانها على بعد مائة متر من العجل شاهدت حلقة صدئة من السلك الشائك تلتف حول قدمه، وشاهدت كاحله الأبيض وقد تلطخ بدم أحمر فاقع اللون ظهر ذنبان بريان على قمة التل القريب وقد جذبتهما رائحة دماء الصغير المسكين أدركت كيسى أنه ليس لديها وقت لتضبعه أدركت من منظر الرمال الداكنة حول ساق العجل والوهن الشديد الذى بدا عليه، لدرجة أنه وقف ساكناً مستسلماً، أدركت أن الصغير قد فقد الكثير من الدماء كل ما تستطيع عمله هو أن تحرره من ذلك السلك الشائك وتحمله على ظهر حصانها لتعيده إلى المنزل.

كان العجل الصغير واهناً لدرجة أنه لم يتحرك من مكانه عندما ترجلت كيسى واتجهت نحوه وفى يدها مقص السلك كانت تعلم أنها لا يجب أن تخاف الذئبين إذ لن يجرؤا على الاقتراب طالما هناك إنسان فى الجوار حدقت عينان واسعتان مفعمتان بالألم فى كيسى وهى تمسك بلفات السلك المتشابكة وتبدأ فى قطعها فى سرعة وتخليص ساقى العجل منها كانت حريصة على تفادى الأشواك الحديدية الحادة فى السلك

وتتمنى فى نفسها لو كانت قد أحضرت معها القفاز الجلدى السميك الذى تركته على منضدة المطبخ.

أخيراً تحرر العجل، لكنه كان واهناً لدرجة لا تمكنه من عمل أى شىء.

جاهدت كيسى لترفع العجل الصغير على ذراعيها وبدا مستلقياً كالثقل الميت بين ذراعيها عندما افلحت أخيراً فى النهوض على قدميها ومع ذلك فقد دب فيه شىء من القوة مكنته من أن يطلق خواراً واهناً خائفاً وما أن خطت خطوة واحدة فقط تجاه حصانها الذى بقى واقفاً فى مكانه وعنانه يتجرجر على الأرض من وراءه إلا ورأت رأس الحصان يستدير لينظر إلى التل على يسار كيسى أدارت رأسها بسرعة تنظر إلى حيث نظر الحصان، وانطلقت فى الوقت ذاته صيحة متسائلة قادمة من التل.

غاص قلب كيسى فى قدميها عندما تعرفت على تلك البقرة التى بدأت تعدو فى غضب نازلة التل فى اتجاهها لم يكن هناك فى قطيع أبقار انكور بار سوى بقرة واحدة لها هذه القرون المقوسة ذات الأطراف الحادة، إنها المرأة المجنونة أو هكذا كان مارك يسمى هذا البقرة حسبت كيسى المسافة بينها وبين الحصان وأدركت أنها لن تستطيع أن تقطعها حاملة العجل قبل أن تلحق بها الأم الغاضبة.

ورغم ذلك، وبما يشبه الجنون، أخذت كيسى تعدو تجاه حصانها والعجل لا يزال بين ذراعيها أتاها، مختلطاً مع وقع حوافر البقرة على العشب والأرض الرملية صوت صرير سرج ووقع حوافر حصان آخر ومن

طرف عينيها وقلبها يكاد يفر من بين أضلعها صلعاً، لمحت كيسى حصان فلينت يعدو نازلاً التل فى اتجاه البقرة وانطلق حبل من يد فلينت وقد انتهى بأنشوطة واسعة طارت لتستقر على قرون البقرة التى تغير اتجاهها رغماً عنها فجأة.

صاح بها فلينت منادياً:

- الشاحنة والمقطورة هناك قرب البوابة الغربية!

ولم تضع كيسى وقتاً ورفعت العجل ووضعته على ظهر حصانها وامتطته وهرولت مبتعدة وعندما وصلت إلى الشاحنة افسحت مكاناً للعجل فى المؤخرة ووضعته فى رفق وأركبت حصانها فى المقطورة وما كادت تنتهى حتى ظهر فلينت قادماً على ظهر حصانه ينزل التل متجهاً نحوها.

تدحرجت عيناه الرماديتان الغاضبتان فى سرعة عليها وقد زادها الشرر المتطاير منهما ارتجافاً. اركب حصانه فى المقطورة وأقفل بابها فى إحكام ثم استدار إلى كيسى. بدت ملامح وجهه أشبه بنقوش على صخر صلد.

أسرعت تقول فى تلعثم:

- سأر.. سأركب فى الـ.. فى المؤخرة.. مع العجل.

قفز فلينت إلى كابينة الشاحنة وصفق الباب وراءه فى عنف مرعب.

قفزت الشاحنة فجأة للأمام ثم انطلقت فى اتجاه المنزل عندما ضغط فلينت دواسة الوقود فى عصبية وعنف.

تمتمت كيسى فى خفوت لنفسها:

- سيكون على ما يرام.

واحتضنت العجل فى لطف بحيث استقر جزئياً فى حجرها لكنها كانت تحاول أن تهدئ من روعها هى أكثر منها تطمئن العجل المذعور.

قابلهم سام ولفر بفطنته التى لا تخطئ عند البوابة الرئيسية وقفز إلى مؤخرة الشاحنة مع كيسى وبدأ يتفحص الجراح الخطيرة فى ساقى العجل، ربما دون حتى أن تتوقف الشاحنة تماماً عندما أنزل سام العجل من الشاحنة نهضت كيسى لتتبعه، فقد كانت تريد تغمض عينيها وتفتحهما لتجد نفسها فى أى مكان آخر بعيداً عن عينى فلينت القاسيتين.

ناداها فلينت فى هدوء ولكن بنبرة مخيفة:

- كيسى! أريد أن أتحدث إليك!

أجابته وهى تتحرك فى اضطراب نحو سام:

- لكن الـ.. العجل.

رد فلينت فى هدوء:

- سيعتنى به سام.

وجدت أن خير وسيلة للدفاع الهجوم فصاحت به:

- اسمع يا فلينت ماكاليستر لقد مررت لتوى بتجربة رهيبة ولست على استعداد لسماع أى محاضرات سخيفة منك كل ما أريده الآن هو أن

www.elromancia.com

اطمئن على هذا العجل فلسنا على استعداد للمغامرة بفقد أى رأس من ماشيتنا.

صاح بها ملوحاً لها بسبابته:

- اسمعى يا كيسى ألم تتعلمى أى شىء من الحادثة التى وقعت لأبيك؟ حتى هو أخبر البعض بالمكان الذى ذهب إليه ولو لم يرك سام تذهبين فى هذا الاتجاه بحصانك لما كنت عرفت أبداً أين كنتِ ما الذى دفعك للمغامرة بحمل هذا العجل المصاب بعيداً عن أمه بمفردك؟

ردت فى غضب يتصاعد:

- أولاً لأن هذا العجل كان مصاباً بإصابة خطيرة وثانياً لم تكن هذه البقرة موجودة بالمرة عندما وصلت إلى هناك كل ما خطر لى لحظتها هو أن يكون عجلاً عمره عام واحد فقط ثم ثالثاً..

ولوحت له بقبضتها مضيفة:

- ليس لك أى حق فى أن تكلمنى بهذه الطريقة!

بدا التلذذ على وجهه من انفجار غضبها على هذا النحو المفاجئ وشعرت بالإحباط لأنه يجد فى غضبها ما يبهجه.

رد فى هدوء وعيناه تتراقصان ضحكاً:

- ليست هذه لغة تناسب سيدة محترمة.

ردت فى حدة:

- لست سيدة محترمة ما أنا إلا شوكة هل تذكر؟

غمغم فى شرود:

- لقد بدأت أسأل نفسى عما يمكن أن يكون خلف أشواكك هذه.

- تبدين شاحبة قليلاً يا كيسى هل أنتِ على ما يرام؟

سألها سميتى عندما خرجت تستقبله تلك الليلة بعد أن انتهت من العشاء مع مارك وأمها وفلينت.

أجابته بضحكة مفتعلة:

- أنا بخير.

ضاقت حدقتا سميتى وهو يتفحصها فى اهتمام وعقله يموج بخواطر لم يرتح لها أبداً.

ورد قائلاً وقد أزعجه شحوب وجهها:

- لقد مررت عليكِ لأتأكد من ترتيبات ليلة الجمعة هل ستذهبين معى؟

سألته فى ارتباك:

- تقصد إلى حفل آل جوردون؟ لقد كنا نتحدث للتو عن ذلك.

حاولت أن تضع ابتسامة تجيب بها على عينيه البنيتين الواسعتين المتسائلتين.

أضافت:

- فى الحقيقة لقد أقنعنا أنا وفلينت أمى بالذهاب معنا لم تكن تريد

www.elromancia.com

الذهاب لأن أبى فى المستشفى.

سألها بنظرات حادة ذاهلة:

- أنتِ وفلينت؟! هل يعنى ذلك أنك ستذهبين معه؟

ردت فى اضطراب:

- سنذهب كاسرة مارك وأنا وأمى و.. وفلينت.

لماذا إذاً تشعر بالذنب؟ إنها تتصرف وكأنها قد وعدت سميتى بالذهاب معه وهى الآن تخلف وعدها له.

رد فى سخرية:

- هل أصبح العزيز فلينت واحداً من أفراد الأسرة الآن؟

ردت فى حنق:

- أنت تعلم أنك يمكنك المجىء معنا وقتما تحب.

رد متهكماً:

- لا شكراً لك! فالاثنان صحبة والثالث عزول كما يقولون!

صاحت به فى غضب:

- دونالد سميث! ليس لك الحق فى مخاطبتى بهذه الطريقة إنك لا تملكنى! وليس هناك داع للحديث بهذه السخرية فقط لأننى لم أذهب معك إلى حفل!

رد فى مرارة:

- لست أمانع فى أن تتجاهلينى من أجل أسرتك يا كيسى، إنما اعترض فقط على أن تتجاهلينى من أجل فلينت ماكاليستر لقد حذرنى جونى منه، لكننى لم أكن أتخيل أن.. أوه، ما فائدة كل هذا الآن؟

ردت فى صوت خفيض مرتعش:

- ليس بسببه مطلقاً.

أجابها فى حنق وهو يقترب منها:

- حقاً؟ إن ملامحك تفضحك يا كيسى آه كلما فكرت فى مدى صبرى عليك! إنه لا يعبأ بك يا كيسى لقد لف ودار وشاهد العالم كله ما الذى يمكن أن يلفت انتباهه فى فتاة قروية مثلك؟

ودت لو وضعت يديها على أذنيها لتحجب كلماته الجارحة لكن كل ما كان سميتى يقوله صحيح، ولطالما حدثتها نفسها بكل هذا وكان أسوأ ما لا تستطيع تحمله هو أنها تركت نفسها حتى صارت فريسة سهلة لتأثير فلينت الطاغى عليها وما أثار رعبها هو أنها اقتربت كثيراً من الحافة وأوشكت أن تهوى فى هاوية حبه، ذلك الحب الذى لن تكسب من ورائه إلا قلباً محطماً ولوعة لن تفارقها.. لن تفارقها طيلة حياتها.

www.elromancia.com

القرار الصعب

ظلت تلك الليلة التى ذهبت فيها مع فلينت إلى حفل آل جوردون تطارد كيسى لعدة أيام ففيما عدا تلك الواقعة مع سميتى ظل فلينت وبشكل استثنائى منتبهاً لها لما تبقى من الليلة، لكن انتباه المشغول بشىء آخر ولم يحاول الانفراد بها أبداً مرة أخرى، لا فى تلك الليلة، ولا فى الأيام التالية وأحست كيسى بأنه يريد أن يبقيها بعيدة عن حياته.

آه فقط لو كانت فتاة متمدنة وتستطيع إقامة علاقة مع شخص مثله! لكنها ضحكت فى مرارة من أن تطرأ فكرة كهذه على بالها لقد كان فلينت محقاً، فليست هى من ذلك النوع من الفتيات لكن ذلك لن يجعلها تتجاهل حقيقة أن علاقة حب جارف معه هى فقط ما يمكن أن يعوضها عن كل ذلك لكن خبرته بالحياة وثروته الطائلة ستجعلها دائماً هى الخاسرة فى أى منافسة مع غيرها من الفتيات المتمدينات على الفوز بقلبه والزواج منه.

التقطت كيسى حصاة وقذفتها فى الماء وظلت تتأمل الموجات

المتتابعة التى أحدثها سقوط الحصاة إن نظرة واحدة من عينى فلينت ستحدث نفس هذه الدوامات فى قلبها وكيانها كله، ولكن بشكل أعنف.. وأحلى.. وأحست فجأة بأن عواطفها قد نضجت وأنها فى مسيس الحاجة إلى حبه ما عاد لها غناء من عن ابتسامته الساحرة ونظراته الآسرة ودفء القرب منه.

حاولت فى يأس أن تتجاهل الأسابيع القادمة لأنه ما تبقت سوى هذه الأسابيع اللحظات حتى يعود أبوها من المستشفى.. ويرحل فلينت حاملاً قلبها معه لطالما تطلعت إلى اليوم الذى يغادر فيه المزرعة، من قبل.. من قبل أن يتسلل ذلك الداء الفتاك إلى قلبها ويسلب منها عزيمتها ولبها والآن لا تشعر سوى بالفراغ القاتل الذى سيخلفه رحيله عن حياتها كان خواءً أو هاوية سوداء مشؤومة تفتح فاها وتستعد لالتهام حياتها ولو كان مجرد التفكير فى ذلك يسبب لها كل هذا الاكتئاب الذى تشعر به الآن وهو لا يزال هنا، فكيف ستكون الحال إذا ما رحل فعلاً؟

سقطت قطرة من الماء على ذراعها واهتزت الأرض فجأة من حولها.

تسللت نظراتها من على صفحة البركة التى أمامها، وارتفعت إلى السماء شق وجه السماء زجزاج من البرق وتخلل سحباً داكنة تتدحرج فى سرعة عندما امتطت كيسى حصانها وتوجهت نحو البحيرة الصغيرة، كانت قد لمحت نفس هذه السحب تحوم قرب الأفق الغربى زمجر الرعد مرة أخرى ليهز الأرض حولها وسقطت قطرة أخرى على ذراعها هذه العواصف المفاجأة شىء شائع فى نبراسكا تطلعت نحو المنطقة المعشوشبة التى تركت بها حصانها ليرعى رفع رأسه وقد اتسعت عيناه

رعباً من تلك الرماح البيضاء الذى أخذ البرق يرمى بها السحب الرعدية التى غطت الآن وجه السماء جلجلت قصفة مدوية بين الرعد جعلت الحصان يخر فزعاً على قوائمه ثم ينهض ويطلق لساقيه الريح فى ذعر شديد.

هبت كيسى واقفة تنادى على الحصان الذى أخذ ينهب الأرض نهباً وقد أمال رأسه جانباً لئلا يعرقله اللجام الذى انسدل على الأرض.

- تالى! تالى!

صاحت تناديه لكن صوتها ضاع وسط هدير الأمطار وخلال ثوان كانت قد ابتلت تماماً بالماء ولم يكن هناك جدوى من البقاء فى مكانها تحدق فى الحصان الهارب توجهت نحو قمة التل لكن حصانها كان قد توارى عن الأنظار تقريباص رفعت إصبعين من أصابعها ووضعتهما فى فمها وصفرت بكل ما أوتيت من قوة.. لا فائدة إن الحصان لم يعبأ حتى بالالتفات إليها تطلعت إلى السحب القاتمة فى قلق ثم بدأت تسير سيراً حثيثاً نحو المنزل الذى يبعد ما يقارب السبعة أميال آه لو كانت كفت عن الرثاء لحالها وانتبهت مبكراً إلى حالة الطقس!

سمعت صوت صهيل متسائل يأتى من بعيد التوى طرفا فمها قليلاً فى ابتسامة أملة ربما عاد تالى أدراجه لكن عندما نظرت أمامها، رأت كيسى حصاناً أبيض يتقدم باتجاهها.

صاحت فى فرح:

- ميركورى كيف حالك أيها العجوز اليوم؟

داعب الحصان وجهها فى حنان فأضافت:

- لا سكر اليوم يا رفيق.

تألقت ومضة من البرق مرة أخرى، ولكن بشكل أقرب هذه المرة إذ اقتربت العاصفة العنيفة بكل طاقتها وأدركت كيسى أن أمامها فرصة وحيدة لبلوغ المنزل قبل أن تهاجمها العاصفة لكنها لم تركب ميركورى منذ سنوات عديدة كانت المسألة تتعلق بقدرتها على التحكم فيه وتوجيهه إلى المزرعة بإشارات من ساقيها ليس هناك من بد، لابد أن تحاول.

أجفل الحصان الأبيض فى قلق عندما امتطت ظهره أخذ يتحرك فى توتر من تحتها بينما أخذت كيسى تلاطفه وتهمس فى أذنه بكلمات مداعبة وتطمين قبل أن تغمزه ليتحرك بدأ يتحرك فى تردد، وهو يعود نفسه فى بطء على الثقل التابع فوق ظهره، والذى لم يشعر به منذ سنين لكن الذكريات والعادات يتم تذكرها بسرعة وسرعان ما وجدت كيسى نفسها تسيطر عليه وهو يسير فى سيراً حثيثاً ليناً، وقد أخذ الحصان الأبيض العجوز يستجيب لأدنى إشارة من ساقيها ربما بنفس السرعة التى كان يستجيب بها عندما كان صغيراً وكان هو وكيسى لا يفترقان.

ازداد هطول الأمطار وأصبحت قطراتها مثل كرات صغيرة من الرصاص تكاد تخترق بدن الحصان العارى أخذت الأرض تهتز من تحت حوافر الحصان بفعل الرعد المتتالى بينما أخذت السماء تغمض عينها وتفتحهما مضيئة مرة ومظلمة أخرى بفعل أحزمة البرق المتتابعة زاد

ميركورى من إيقاع سرية شيئاً فشيئاً حتى صار يعدو بكامل قوته وجدت ذلك تدريجياً لدرجة أن كيسى لم تلاحظه إلا بعد أن لمحت الأرض وهى تختفى من تحتهما بفعل السرعة المتزايدة.

ولم تكن لديها من وسيلة لإبطاء سرعته، وكل ما استطاعت فعله هو التشبث بساقيها فى جانبيه الذين أغرقهما المطر وانطلق قلبها يدق فى عنف ويكاد يقفز خارجاً من حلقها عندما انطلق بها بأقصى سرعة من فوق ساند هيلز كانت كيسى تعلم أنها يجب أن تبطئ من سرعته، وأن مثل هذا العدو السريع كثير على حصان فى مثل سنه ويحمل فوق ظهره ثقلاً مثلها لكنها ربما مثل الحصان، كانت تعيش لحظات أخرى حينما كان ميركورى أصغر سناً وكانا يجريان معاً هكذا فوق البرارى وظلت تحدث نفسها بأنه لا يجهد نفسه، وأن خطواته سهلة لينة دونما جهد، كما كانت دائماً.

وما إن خطر هذا الخاطر فى بالها حتى أحست بفارق طفيف فى إيقاع عدوه خطوتان قبل أن يهبط ميركورى إلى سفح التل، وكانت كيسى تعلم أنه يسقط وقفزت من على ظهره قبل أن يطير فى الهواء وينقلب ورقدت على الأرض لا تكاد تستطيع التقاط أنفاسها تحسست بدنها لتتأكد من أنها لم تكسر أية عظام ثم استدارت بعينيها الداكنتين ناحية الجسد الأبيض الراقد على الأرض دون حراك على بعد خطوات منها.

كان بياضه قد تلطخ بمزيج بائس من المطر والوحل نهضت تتعثر تتجه إليه يكاد قلبها ينفلق لوعة عليه جثت بجواره وقد أغرورقت

عيناها بالدموع واحتضنت ذلك الصدر الأبيض الضخم الذى كان يعب من الهواء عباً قبل لحظات الآن خمد.

- ميركورى؟

مدت يداً مرتجفة تتلمس عرفه الأبيض ارتجف بدنها كله وقد بدأت تدرك أن حصانها التوأم.. قد مات الآن بدأت تجهش بالبكاء وضمت الرأس الأبيض إلى حضنها وقد أغلقت يد الموت هاتين العينين الغزاليتين الناعمتين.. إلى الأبد!!

- أنا آسفة.. آسفة..

بصوت خفيض واهن محطم لا يكاد يسمع وقد دفنت رأسها فى عنق الحصان لقد ذهب أعز ما تملك.. وأوفى صديق لم يعد البرق ولا الرعد ولا المطر يهم.. ما عاد شىء يهم بعد الآن.

لم تشعر تقريباً بالمطر الذى بدأ حدته تخف ثم توقف تماماً ولم يلتفت علقها عن الحصان الصريع بين ذراعيها إلا بعد أمسكت يدان قويتان بكتفيها نظرت بعينين غائمتين إلى العينين الرماديتين اللتين فاضتا رقة وتعاطفاً معها.

- لقد عاد حصانك إلى المزرعة وأثار ذلك قلقى.

كان كل ما خرج من شفتى فلينت الذى بدا يربت عليها الآن ليهدئ من روعها

- كنت.. كنت.. أركب على ظهره بدا يجرى و.. وأنا لم أستطيع إيقافه.

احتبست الكلمات فى حلقها مما جعل كلامها غير مفهوم.

- ثم.. سقط لقد ماااات يا فلينت.

وهذه المرة نظرت كيسى إلى وجهه.

رد فى رقة وبصوت هادئ:

- لا تلومى نفسك يا كيسى أليس هذا أفضل؟

كانت ابتسامته رقيقة عذبة وهو يضيف:

- أراهن انه الآن لازال يعدو محلقاً فى السماء وقد صار حراً إلى الأبد.

وهدأت هذه الكلمات روعها بأكبر مما كانت تستطيعه أية عبارات منطقية وعندما تذكرت كيف كانا يعدوان فوق التلال قبل أن يسقط، جعل هذه الفكرة ألطف وأصدق.

- خذى حصانى وعودى إلى المزرعة أرسلى سام لى لكى يساعدنى فى دفن ميركورى.

نظرت كيسى إلى الجسد الأبيض الراقد بلا حراك، ثم إلى السحب الرمادية الأقلة من فوقهم ورغماً عنها رأت أنها كانت واحدة من تلك العواصف العنيفة الشائعة فى تلال نبراسكا الرملية، إذ تكون السماء صافية متألقة فى لحظة وفى اللحظة التالية تغزوها أحزمة الرعد المتتابعة وبنفس السرعة تنتهى العاصفة، بعد أن تترك وراءها أحياناً الدمار والخراب نظرت إلى فلينت وذلك التعبير الصخرى الجامد على وجهه أهو مثل واحدة من عواصفهم؟ يصل فجأة ليدمر نمط الحياة الوادع فى المزرعة ويقلب حياة كيسى راساً على عقب، ثم يرحل بنفس

السرعة؟ عادت نظراتها الحيرى إلى ميركورى (تموت أشياء وتولد أشياء) تمتمت لنفسها فى خفوت لكن ترى هل وأد الحب الوليد الذى ما كاد يخلق بينها وبين فلينت بهذه السرعة؟ إذاً فما الذى سيولد بدلاً منه؟ أطلال قلب محطم؟

- يا لميركورى المسكين غمغمت لنفسها (كما أنت محظوظ لتصبح حراً)

كانت العصارى حارة بشكل لا يطاق لم تكن حتى وريقة عشب واحدة تتحرك وكانت شمس الغرب كرة من اللهب تلفح وجه الأرض الرملية كانت كيسى مكتئبة وقلقة، وهى حالة سقطت فيها طوال اليومين الماضيين والآن ازداد تعقد قلقها بزيارتها إلى مزرعة آل سميث كانت قد ذهبت لتتفق معهم على استعارة طائرتهم فى اليوم التالى لتتفقد السياجات القامة فى القطاعات النائية ولسوء حظها كانت العائلة كلها تجلس فى المدخل المظلل للفيلا عندما وصلت.

حياها أبو سمينى بحماسهما المعهود وأصرا على أن تجلس معهم لتتناول كوباً من الشاى وكان وجوم سيمنى وتوتره واضحاً لدرجة أنه كان من المستحيل ألا يلحظ والداه ذلك وعندما تكلم أخيراً انتزعت أسئلته الساخرة عن فلينت ماكاليستر نظرات الدهشة من أعين أبويه التى وجهت نظرات أخرى متسائلة إلى ملامح كيسى المتجهمة وحاولت كيسى جهدها أن تبقى ردودها على أسئلته فى إطار الذوق والأدب، لكن كان مزاجها الحاد يتسلل بين الفنية والأخرى ليندفع فى وجوه الجميع وقد ضحك السيد والسيدة سميث من بعض المناوشات الحادة بين الاثنين

وحاولا إقناع نفسيهما بأنها ما هى إلا مناوشات عاشقين.

ومع ذلك عندما قال السيد سميث لسميتى مازحاً،

- إنها ليلة الجمعة يا سيمتى أعتقد أنك ستأخذ السيارة الليلة وتدعو كيسى لمشاهدة أحد الأفلام فى السينما انزاح ذلك القناع المهذب الذى كانت تتقنع به كيسى فى ردودها.

رد سيمتى فى حدة،

- انا واثق أن فلينت ماكاليستر وكيسى لهما خطط أخرى بشأن الليلة لكننى ساكون فى حاجة إلى السيارة.

ثم رمقها بنظرات منتشية مزهوة وهو يضيف،

- سأمر على مزرعة آل فيرلى وأزور بريندا.

وبريندا هذه كانت زميلة كيسى أيام الدراسة، وكانا قد التقيا بها فى الحفلة عند آل جوردون.

وعندها اعتذرت كيسى لهم بأول خاطر طرأ على بالها وولت أدبارها هاربة.

ما عاد يهم بالمرة إن كانت ستستطيع استعارة الطائرة للغد أم لا ففى البداية أولاها فلينت ظهره وأصبح يعاملها وكأنها نبتة سامة يجب ألا يقترب منها، والآن ها هو سميتى يتخلى عنها مفضلاً تلك الحشرة الحقيرة السماة بريندا فيرلى وأحست كيسى بارتباك واضطراب شديدين لدرجة أنها ما عادت تدرى ماذا تفعل وأين تولى وجهها.

وكان جزءاً من مشكلتها مع فلينت من صنعها هى، فقد كانت تجد صعوبة فى مواجهة عينيه وكان يجتاحها مزيج من الخجل والنشوة كلما دلف إلى غرفة تكون فيها.

طنت ذبابة كبيرة الحجم حول أذنيها وأخذت تلوح بيديها دون جدوى لتبعدها عنها وهى تواصل طريقها نحو المنزل وفى نوبة غضب ويأس صفقت كيسى باب المنزل وراءها بعد أن دلفت إلى المنزل وتوجهت مباشرة إلى المطبخ لتعد وجبة المساء نفضت عن نفسها فى لأى ذلك التوتر والقلق الذين ظلا جاثمين على أنفاسها وفتحت باب الثلاجة وتناولت دورق الشاى المثلج ألقت نظرة سريعة على الموقد وأدركت أنه ما من أثر واحد عليه يد على أن هناك من كان يفكر فى إعداد أى شىء للعشاء.

وما كادت تصب لنفسها كوباً من الشاى وترفعه إلى شفتيها حتى سمعت صوتاً على عتبة الباب التفتت تنظر وهى تتوقع أن تكون أمها، لكنها رأت فلينت كان يدعك مؤخرة عنقه بيده فى إرهاق كان يتطلع إلى كيسى فى شرود عميق، بينما ارتسمت نظرة تجهم على ملامحه ولمع فى عينيه التوتر.

بادرها بصوت حاد النبرات،

- لقد ظللت أبحث عنك طيلة النهار ألن تتعلمى أبداً أن تخبرى أحداً بالمكان الذى ستذهبين إليه؟

www.elromancia.com

ردت بنفس الحدة،

- لم أكن أظن أن ذلك يهم أين أمى؟

رد فى صوت حاسم،

- فى المرة القادمة لا تظنى شيئاً افعلى فقط ما تؤمرين به أما بالنسبة لأمك فقد اتصلت بها المستشفى هذا الصباح و..

قاطعته فى لهفة،

- هل سيعود أبى إلى المنزل؟

تعمدت أن يبدو صوتها تلهفاً على عودة أبيها يعنى رحيل فلينت.

رد فى اقتضاب،

- لا.

أثار اقتضابه مخاوفها وابتلعت غصة كبيرة تجمعت فى حلقها.

تأملها لحظات فى وجوم ثم واصل قائلاً،

- لقد أصيب بعدوى فيروسية من نوع أو آخر وقد ذهبت إليه أمك هذا الصباح لأن الطبيب كان يشعر أن حالته حرجة.

شهقت فى سرعة شهقة لم تخفف توتر عضلات معدتها كانت تريد أن يبقى فلينت، لكن ليس على حساب صحة أبيها.

تابع فى لهجة متعاطفة رغم قسوتة يطمئنها،

- لقد اتصلت لوسيل من دقائق قليلة وقالت أن حالته تحسنت بشكل ملحوظ لقد أقنعتها للتو بأن مكانها هو مع أبيك فى المستشفى ولذا ستقيم فى سكوتسبلف مع أختها إلى أن يخرج أبوك من المستشفى.

عبر فلينت الحجرة وصب لنفسه كوباً من الشاى بينما ظلت كيسى تحدق فيه فى صمت كانت تحاول ضبط نفسها مع الأخبار الجديدة وذلك التوتر الغريب الذى بدا يسيطر على فلينت لقد درسته جيداً فى الأسابيع الماضية لدرجة تمكنها من أن تعرف أن هناك ما يريد قوله لها ظل يتأمل السائل البنى فى الكوب قبل أن يزدرده كله جرعة واحدة.

ثم أدار عينيه الرماديتين الجامدتين وقال فى بطء،

- لقد اتصلت بأختى هذا الصباح.

توقف لحظات يتأمل وجهها ثم أضاف،

- لقد اتفقت معها على أن تذهبى لتقيمى معها إلى أن يعود والداك إلى المنزل.

- ماذا؟ عم تتحدث؟ !

كان وجهها ممتقعاً وقد اتسعت حدقتا عينيها دهشة وكان فى سؤالها من الغضب، ما جعل فك فلينت ينقبض فى توتر وهو يضع الكوب الفارغ على المنضدة.

رد قائلاً،

www.elromancia.com

- لقد تناقشت مع أمك بالفعل فى الموضوع ووافقتنى على أنك يجب ألا تبقى هنا فى المزرعة مع رجل عازب وفى نفس المنزل أى معى.

ردت فى دهشة:

- وماذا عن مارك؟ إنه موجود معنا!

أجابها فى ضجر:

- إن صبياً فى الخامسة عشر من عمره لا يصلح لأن يكون محرماً مناسباً!

أجابته وهى تهز رأسها غير مصدقة:

- هذا شىء غريب! إننى أشعر بأننى فتاة إسبانية يجب أن تبقى حبيسة منزلها ويغلق الباب عليها تماماً!

وقبل أن ينطق الغضب الذى تجمع فى عينيه أضافت:

- يمكنك أن تتصل بأختك وتخبرها بأننى لن أذهب فمكانى هنا فى المزرعة وهناك الكثير من العمل الذى يجب أن يتم ولا يمكن أن تتحمله بمفردك.

انفجرت قبضته فى المنضدة فقفزت من مكانها من عنف الضربة.

صاح فى حنق هائل:

- كيسى! ألا تستطيعين أن تستوعبى أننى لا أريدك هنا؟!

وبدا وكأن ضربته قد أطاحت بأنفاسها جميعاً وتركتها تحدق فيه فى ذهول لا تكاد تقدر على التنفس استدارت عنه وقد أغرورقت عيناها

بالدموع لقد أزال كل شكوكها عن حقيقة مشاعره تجاهها لو كان رسم لها صورة لمشاعره تجاهها لما كانت أوضح من هذا لقد مل منها.

تمتمت فى اعتراف بالهزيمة والضعة:

- سأذهب.

وحاولت أن تخرج من المطبخ لكنه أوقفها قائلاً فى ود:

- حسناً، يبدو أننى لم أحسن إخبارك بذلك إن ما أحاول أن أوصله لك هو أن هناك شيئاً ما قد بدأ ينمو بيننا.

قاطعته فى سخرية:

- ماذا تقصد؟

رد فى لهجة حادة:

- حسناً، لنكن صرحاء مع أنفسنا أعتقد أنك قد وقعتِ فى حبى.

يا الله!!! لماذا تفضحها مشاعرها هكذا أمامه؟!

ردت وهى تحاول أن تسيطر على صوتها ليخرج بارداً:

- إنك أكثر الرجال المغرورين الذى قابلتهم فى حياتى! هل اعتدت على أن تقع كل النساء فى حبك لدرجة أنك صرت تتخيله حقاً لك؟! بغرورك هذا اعتقد أنك تظن أنه تكفى إشارة واحدة من إصبعك لتقع أى امرأة فى غرامك!

سحبت نفساً عميقاً لتواصل قائلة:

www.elromancia.com

- حسناً، دعنى اقل لك هذا يا فلينت ماكاليستر، إن الفتاة الصغيرة التى أمامك ليست واحدة منهن لقد كنت أعرف طوال الوقت أنك شخص مقزز ولقد جاريتك فى اللعبة لفترة لأننى كنت أريد ان أعرف حقيقة لعبتك.

أمسك بذراعها قائلاً فى غضب:

- أهذه هى الحقيقة؟

قاطعته فى غضب هادر تقول:

- ماذا تعتقد إذاً؟ اتركنى فقط وسأذهب من فورى لأحزم أمتعتى وارحل من هنا يبدو من المتع جداً أن أخبر أختك المخدوعة بحقيقة أخيها الكبير!

صاح بها فى صوت غاضب متحشرج:

- اذهبى! اغربى عن وجهى!

محاولة للهروب

لقد كان حاداً ومقتضباً بشكل بشع أليس كذلك؟

سألتها جاربيل، او جابى كما أصرت أن تناديها كيسى، معلقة على تصرف فلينت بعدما رحل.

أضافت تسألها:

- لا يكاد يقترب من أى قدر من الكياسة أو الذوق، أليس كذلك؟

ردت كيسى فى وجوم:

- أجل لقد كان حاداً جداً؟

وأحست بشىء من الارتياح لأن هناك من لاحظ مدى برودة فى التعامل معها.

www.elromancia.com

بعد أن أوصلها إلى المستشفى لزيارة أبيها، كان فلينت قد اصطحبها فى السيارة إلى حيث تقع الفيلا الأنيقة التى يمتلكونها والتى تدل على السعة والثراء الفاحش وكان مقتضباً فى كلامه إلى حد مثير للإزعاج وموجزاً لأقصى ما يمكن عندما عرف الفتاتين إحداها بالأخرى ووضع حقائب كيسى ارضاً معلناً انه يجب أن ينصرف ليستطيع بلوغ المزرعة قبل تأخر الوقت ولم يبال بعرض جابى عليه بتناول بعض المرطبات وغادر دون أن يتفوه بشىء، إلا بإيماءة مقتضبة من رأسه تجاه كيسى، يفترض أن تكون هى إيماءة الوداع.

ورغم أن كيسى لا تزال تشعر بالانزعاج فإن جابى قد صافحتها فى حرارة وود وها هى الآن تحاول بوضوح أن تؤسس لصداقة وصحبة معها لكن كانت المشكلة أن كيسى اكتشفت أن الرحيل المفاجئ لفلينت قد كشف درعها الواقى فالأن زالت عنها صلابتها وتظاهرها بالتماسك وأحست بأنها توشك على الإجهاش بالبكاء.

اقترحت عليها جابى قائلة:

- لدى بعض المرطبات فى المطبخ، لماذا لا تذهبى إلى غرفة المعيشة وترتاحين؟

نظرت كيسى فى تفهم وود إلى الفتاة الطويلة ذات الشعر الداكن الطويل المنسدل فى انسيابيته.

وافقتها قائلة:

- شكرا سأفعل.

كانت غرفة المعيشة باردة برودة محببة وجوها يشجع على الانتعاش، لكن لم تكن كيسى فى مزاج يسمح لها باستيعاب ذلك. كانت الحوائط بيضاء بها أعمدة ضخمة مبقعة ببقع داكنة أضفت عليها جوا أنيقا مريحا. تراءى أمامها كرسى ضخم من الخيزران بدا مغريا وثيراً. والقت كيسى بنفسها عليه تلوذ بوسائده الوثيرة. امتدت يدها القلقة تعبث بنبات شوكى فى الإناء الخشبى الموضوع بجوار الكرسى. لحقت بها جابى بعد بضع دقائق وناولتها كوبا طويلا تجمعت قطرات الرطوبة بالفعل على جداره الخارجى.

ارتشفت كيسى العصير الذى بدا منعشا رطب حلقها الجاف.

سألتها جابى وهى تلقى بقامتها الطويلة على الأريكة البروسية:

- كيف حال أبيك؟

ردت كيسى فى هدوء:

- أفضل كثيرا الأن.

أسرعت خواطرها تعدو فى كل اتجاه تبحث عن أى شىء لتبقى عقلها بعيدا عن التفكير فيه.

ردت جابى:

- لقد بدا فلينت مهموما بشكل فظيع عندما اتصل بى هذه الظهيرة.

وتأملت كيسى فى شرود للحظات قبل أن تعيد نظراتها إلى الأسورة الذهبية حول معصمها وتضيف:

www.elromancia.com

- ليس هو من النوع الذى يبدو مهموما هكذا دون سبب.

ابتلعت كيسى ريقها فى جهد لكنها لم تستطع أن تتخلص من تلك الغصة التى سدت حلقها. صمتت جابى ما يكفى لتعلق كيسى على كلامها، إن ارادت.

ثم أضافت فى تفكير:

- فى الأسابيع القليلة التى عاد فيها فلينت حدثنا كثيرا عن أسرتك. إنه معجب بأبويك. لديك أخوان، اليس كذلك؟

أومات كيسى برأسها إيجابا فواصلت جابى:

- يعتقد فلينت أن مارك -هو الأصغر، اليس كذلك؟- سيكون مزارعا جيدا. ولقد قال لى فلينت أن لديه موهبة طبيعية فى هذا المجال.

فلينت! فلينت! ألن تجد منه مهربا أبدا؟! تجمعت الدموع فى عينيها وكادت تنهمر على خديها.

قالت فى صعوبة وهى تحاول أن تبدو طبيعية:

- يجب أن تأذنى لى أعلم أن الوقت لا زال مبكرا، لكننى أود فعلا..

كتمت تنهيدة كادت تفلت وأضافت فى صعوبة:

- أن أنام. يبدو وكأن هذا الصباح مر منذ أسابيع.

ابتسمت جابى وقالت وهى تنهض واقفة:

- لست فى حاجة للاعتذار، فأنا أفهم الموقف.

وقادتها إلى غرفتها ثم أضافت فى لطف:

- نامى كما تشائين. أنا أعمل صباحا، ولذا فما عليك إلا تغطية رأسك بوسادة عندما تسمعين صوت الآلة. طابت ليلتك يا كيسى.

وما أن انغلق الباب خلف الفتاة داكنة الشعر، إلا وغاصت كيسى فى السرير وتسللت تحت الأغطية وعيناها تحدقان فى السقف. ثم سرعان ما تلاشى الدهان المشجر خلف غمامة من حائط سميك من الدموع.

استغرقت كيسى حوالى نصف الساعة فى الصباح التالى لتصلح آثار الدمار الذى أحدثه عاصفة الدموع ليلة الأمس. وحتى حينها لم تكن لأية وسائل اصطناعية أن تتغلب على شحوب وجنتيها والظلال الداكنة تحت عينيها. هزت كتفها قائلة لنفسها بأنه لم يعد بالمهم فعلا كيف تبدو ودخلت إلى غرفة المعيشة ثم تلتها بعد ثوان خرجت جابى من المطبخ تحمل بين يديها صينية وهى تردد:

- حان وقت الإفطار.

وتخطت كيسى متجهة إلى الباب الزجاجى المؤدى إلى الشرفة.

أضافت فى خفة:

- دائما ما أقول ذلك عندما أقضى صباحا سيئا على الآلة الكاتبة. أى حجة والسلام لأبتعد عن ذلك الوحش! خبز محمص ومربى وقهوة، كيف يبدو هذا لك؟

ردت كيسى فى هدوء:

- يبدو جيدا.

ثم تبعتها إلى الشرفة الواسعة المظللة. لم تستطع منع نفسها من الإعجاب بالكيمونو الأخضر الذى كانت ترتديه جابى.

سألتها جابى عندما لاحظت أنها تنظر إليها فى اهتمام:

- هل أعجبك الزى؟ معظم الناس يعتقدون أن الكتاب يكونون غريبى الأطوار قليلا ولا أحب أن أخيب ظنهم.

ردت كيسى مبتسمة وهى تسحب كرسيا:

- بل تبدين طبيعية وانت ترتدينه إلى درجة أننى لا أتخيل أنه يمكن لأى شخص أن يعتبره شاذا أو غريبا. كيف هى الحال عندما يكون المرء كاتبا؟

أجابتها جابى فى مرح:

- يوم فوق ويوم تحت. ويصبح تحت هنا عميقا جدا وبشكل غير معقول عندما تنظرين إلى ورقة خالية بينما تحدق فيك مفاتيح الآلة فى وجوم. لكنها تكون فوق، فوق جدا عندما ترين اسمك يتذيل مقالة منشورة، وإذا -وضعى ألف خط تحت إذا هذه- منعت نفسك من الشعور بالإحباط عندما يبعث إليك القراء بآرائهم الرافضة لمقالتك.

ارتشفت كيسى من فنجان القهوة ذات النكهة المميزة.

سألتها وهى تفرد المربى على الخبز:

- ما نوع الكتابات التى تكتبينها بالضبط؟

أجابتها جابى وهى تشير بيديها:

- قصص كثيرة ومقالات للمجلات. لكن أعظم رواية أمريكية تتراقص الآن فى رأسى، لكنها حتى الآن لم تقرر النزول إلى الساحة والقص على الورق.

ثم مالت بكرسيها إلى الخلف وأخذت تقضم فى ساندويتشها وحدقت بعيدا فى المياه الزرقاء التى تتراقص فوق صفحة مياه البحيرة التى تطل عليها الفيلا.

هرب الدم من وجه كيسى وهى ترى بروفيل الفتاة الأرستقراطية يبرز أمام السماء الزرقاء فى الخلفية. كان من المدهش مدى تشابه هذه الفتاة الأشبه بالموديلات مع أخيها فلينت. كانت جابى تمتلك نفس عظمتى الخد القويتين، ونفس الأنف المستقيمة، والحواجب شديدة التقوس. لكن فكها كان أكثر جمالا وانثوية. كانت جميلة على نحو ياخذ بالألباب، وعلى نهجها الخاص. لكنها الآن صارت تذكيرا لا ينقطع بوسامة فلنت المدمرة للأعصاب.

- هل تجدين تشابها أسريا؟

سألتها جابى وحدق زوج من الأعين الزرقاء فى حضرة فى عينى كيسى البنيتين المفعمتين بالألم. كانت نظراتها المستبصرة عسيرة على أن تستطيع كيسى مواجهتها بشكل مباشر.

ردت كيسى فى تلعثم، وهى تحاول أن تتفادى نظرات الفتاة:

- لا.. لا أفهم ما تقصدين.

ردت جابى فى سهولة:

- كلنا، نحن آل ماكاليستر، يشبه أحدنا الآخر بطريقة أو بأخرى أنا وفلينت لنا تقريبا نفس التكوين العظمى، رغم أن شعرى أكثر دكنة من شعره، وليس لى تلك النغدات فى وجنتيه والتى تجعله يبدو دائما وكأنه يبتسم. من الطبيعى أن تلاحظى مدى التشابه بينى وبينه، إن عاجلا أو آجلا.

حاولت كيسى أن تخفى ارتباكها خلف كوب القهوة الذى ارتشفت منه قطرات مضطربة وهى تقر بأن هناك فعلا تشابها فى الشكل.

ردت جابى فجأة:

- تبدين وكأنك قضيت ليلة الأمس تبكين.

ولم تستطع كيسى أن تمنع ارتعاش الكوب فى يدها من وقع تعليق جابى المفاجئ.

أضافت جابى قائلة:

- لم يلقبونى بجابى فقط لأن اسمى جابرييلا وما كنت لأصبح كاتبة ناجحة لو لم أكن قادرة على ملاحظة الناس المحيطين بى. لست شخصا يحب اللف والدوران، ولن أتظاهر بذلك الآن.

ثم لانت تعبيرات عينيها قليلا عندما رأت تلك العواصف المتصارعة فى وجه كيسى.

تابعت فى لطف:

- أراهن أن هذه الدموع التى ذرفتيها ليلة الأمس إنما كانت بسبب أخى وليس بسبب أبيك. هل أنا على حق؟

نظرت إليها كيسى فى ذهول. كيف استطاعت جابى أن تعرف ذلك؟ كيف استطاعت أن تخمن ذلك؟ فغرت فمها لتنكر ما قالته الفتاة فى شدة، لكن رغما عنها تدحرجت كلمة "أجل" من بين شفتيها رغما عنها.

سألتها جابى فى رقة بالغة:

أتريدين إخبارى بالأمر؟

رفعت كيسى رأسها وحدقت فى الفتاة فى تفكير.

طمأنتها جابى قائلة:

- صحيح أننى ثرثارة لكننى لا أفشى سرا أبدا لذا لست فى حاجة لأن تقلقى من أن أذهب وأقص القصة كلها على فلينت. ومع ذلك إن فضلت ألا تخبرينى بشىء فلن يشكل هذا فارقا.

كان عبء الحاجة على من تفضى إليه بمكنون نفسها يتصاعد على نحو مخيف. كما أن جابى، تماما مثل فلينت، كانت بها شىء يجعل كيسى تحس أنها يمكنها أن تثق بها.

قصت عليها القصة وأنهتها قائلة فى وجوم شديد:

"وأوضح لى تماما أنه لا يريدنى.

وادهشها تماما مدى التماسك الذى روت به القصة كلها وبدا وكأن الكلمات تخرج من فم فتاة أخرى غيرها. ورأت كيسى أنها ربما تكون قد استنفدت دموعها ليلة الأمس.

صاحت جابى فى استنكار:

- هذا البهيم عديم الحس! حتى وإن كان أخى فقد كان ذلك تصرفا وحشيا منه!

ثم تألق خضار عينيها وأضافت فى لهجة ذات مغزى:

- لو كان فلينت من العمى لدرجة لا تجعله يرى قيمة الماسة التى كانت فى حوزته، فهو إذا يستحق ما سيحدث له بعد ذلك.

سألتها كيسى فى حيرة:

- ماذا تقصدين؟

هزت جابى كتفيها قائلة:

- إنما أتكلم بشكل عام.

ثم نهضت من كرسيها وأضافت:

- يجب أن أعود للكتابة. تستطيعين التربض على شاطئ البحيرة لو أحببت. إن الشواطئ هنا غاية فى الروعة. بعد إذنك.

وبعد لحظات من انصراف جابى سمعت كيسى تكتكت الآلة. وتنهدت فى أسى كبير وتمنت لو كانت فى المزرعة، فعلى الأقل كانت ستنشغل عن أحزانها بالانغماس فى العمل. الآن كل ما يمكن أن تفعله

هو أن تحدق فى جمال البحيرة، وقد مدت شواطئها أصابعها الذهبية إلى المياه السماوية اللون. ووسط كل هذا المزيج الرائع من الشمس والرمل ازداد إدراك كيسى بحبها الطاغى المؤلم لفلينت. وكان وجهه يتراقص أمام مخيلتها أينما ولت نظراتها الحيرى.

أجفلت من رنين الهاتف للحظات وبدا وكأنه منبه أيقظها من كابوس مزعج. انتظرت كيسى فى ترقب أن ترد عليه جابى، لكن أتاها صوت الآلة الكاتبة من بعيد دون توقف. وعند الرنة الرابعة، نهضت كيسى ودخلت إلى المنزل. كان الهاتف الأبيض يجلس مستقرا على منضدة صغيرة، ولازال يواصل رنينه المتقطع. ألقت نظرة تجاه الغرفة التى كانت تعمل بها جابى. ربما كانت جابى لا تريد أن يعرف أحد أنها هنا، هكذا قالت كيسى لنفسها. لكنها لا تستطيع تجاهله اكثر من ذلك.

رفعت سماعة الهاتف..

- "أهلا" أتاها صوت رجل مريح، وتضاعفت دقات قلبها.

"أهذه أنت يا جابى؟"

للحظات ذكرها دفء الرجل بصوت فلينت. أحست بأن ساقيها لا تقدران على حملها وانهارت على الأريكة الملاصقة لمنضدة الهاتف.

ردت فى صعوبة:

- لا لست جابى. سأنادى عليها لتكلمك.

ووضعت السماعة قبل أن يتمكن الرجل من الرد وأسرعت إلى الغرفة التى كانت تعمل بها جابى.

www.elromancia.com

طرقت على الباب المفتوح وهى تقول:

- هناك مكالمة هاتفية لك.

رفعت جابى عينيها من على الآلة على مضض وسألتها:

- من المتكلم؟

ردت كيسى فى صوت متحشرج:

- لم.. لم أسأله. إنه رجل.

أجابتها جابى بابتسامة عريضة:

- آه! ذلك شىء يستحق أن أقوم لأجله.

توجهت إلى حيث الهاتف ورفعت السماعة. كان من المستحيل ألا تسمع كيسى رغما عنها الحديث الدائر على الهاتف.

- أهلا.. لقد كنت أعمل. أنت تعرف كيف أكون عندما أجلس أمام الآلة. يستلزم الأمر تفجير قنبلة تحت الكرسى الذى أجلس عليه.. أوه، هذه كيسى جيلمور. هل تذكر حديث فلينت لنا عنه. ستقيم معى حتى يخرج أبوها من المستشفى.. أعمل على الانتهاء من مقالة، لماذا إذا لا نجعلها العطلة الأسبوعية القادمة؟ هذا موعد غرامى إذا. سلام الآن، أحبك.

ووضعت السماعة واستدارت إلى كيسى وعيناها تتألقان بالضحك..

قال لكيسى:

- كنت على حق، لقد كان رجلا. أبى. سيأتون إلى هنا فى عطلة الأسبوع القادم. أبى وأمى مدمنان للصيد، لذا فمن المستحيل أن تستطيعى

إبعادهم عن "ماك الكبير" لفترة طويلة "ماك الكبير" هى البحيرة. هذا هو الاختصار الذى يدلل به أهل المنطقة "بحيرة ماك كونى".

حاولت كيسى أن تبتسم، لكن بالكاد ارتفع طرفا فمها. كانت تعلم أنه ليس هناك احتمال لأن يخرج أبوها من المستشفى الأسبوع القادم. يجب أن يظل فخذه فى الجبيرة لعشرة أيام أخرى. أما كان يكفى أن تضطر إلى الإقامة مع أخت فلينت؟ أعليها أن تقابل أبويه كذلك؟

ولأن كانت جابى لاحظت فتورها تجاه تلك الأخبار، فلم تعلق على ذلك. واستأذنت منها على عجل وثارت إلى جحرها الصغير الذى تستخدمه للكتابة.

www.elromancia.com

أيـــن المفـــر

كانت الأيام تزحف فى بطء لدرجة أن كيسى أحست أن اليوم به ثمان واربعين ساعة. ثمان واربعين ساعة فيها يزداد عبئية حبها وثقله على كتفيها ثقيل بغيض يضغط عليها لأسفل إلى أن بدأت تشعر أنها لا تستطيع احتماله لأكثر من ذلك. وكانت جابى تفعل ما فى وسعها فى الأيام الأربعة الأخيرة لتساعد كيسى على ألا تشعر بالملل. كانت لا تعمل إلا فى الصباح ثم تكرس بقية الوقت لتخطيط انشطة لنفسها ولكيسى.

وأوصلت كيسى مرتين إلى سكوتسبلف فى وقت العصارى لترى أبيها لكنها كانت أوقاتاً مشدودة عصيبة كان على كيسى فيها أن تزن جيداً كل كلمة تخرج من فمها لكيلا تفضح حقيقة مشاعرها.

كان أبوها قد تحسن كثيراً وبدا يمنى نفسه بالعودة إلى المنزل.

ولأول مرة تحس كيسى أنها تجد صعوبة كبيرة فى مناقشة أحوال المزرعة مع أبيها وبدا لها أن كل الجمل التى نطقا بها كانت تحتوى على كلمة فلينت فالآن حتى حياتها فى المزرعة أصبحت مرتبطة به على نحو لا تستطيع منه فكاكاً.

وأدركت جابى الماحة طبيعة المشكلة التى تواجهها كيسى فى كلامها مع أبيها وانطلقت لتصحح الموقف وفى العصر التالى اصطحبت كيسى فى جولة لمشاهدة معالم أوجالالا التى لا تبعد عن بحيرة ماكونى سوى عشرة أميال القصر على التل وفرونت ستريت وجبانة بوت هيل وغيرها من أماكن الجذب التى كانت تجعل من أوجالالا عاصمة نبراسكا رعاة البقر لكن صور المتاحف الباهتة التى تصور رعاة البقر وهم فى نهاية مشوار طويل مع الماشية هذه الصور تراءت فى عينى كيسى كأنها صور فلينت، فلطالما رأته كيسى وقد برز بروفيله تجاه السماء الزرقاء وعيناه الثاقبتان تتفحصان الأفاق وضربت وحشة جبانة بوت هيل وتراً توافق مع أنغام الوحشة الضاربة بأطناب قلبها.

بعد ذلك اصطحبتها جابى وذهبتا للتسوق وأخذت ترمى إليها بزى بعد آخر وهى تصر أن كلا منها سيساعد على رفع معنويات كيسى قليلاً واستسلمت كيسى لبعض الثياب ذات الألوان الغامقة وهى تعلم أن الألوان المرحة تبرز جمالها أكثر وأكثر ولذا اشترت ملابس مرحة راقية وهى تحاول أن تبدو فى مظهر جديد فى الوقت ذاته، ثم تساءلت بعد ذلك مباشرة لماذا أصلاً اهتمت.

فالملابس فاقعة الألوان لن تخترق قلبها وتبهج كآبته المؤلة وجعلها وجودها مع جابى أمضى عزيمة على محاربة هذا العذاب الذى تعيشه لكن المشكلة الوحيدة هى أنها حرب كبرى وكانت الموقعة تحدث كلما انسابت صورة فلينت أمام ناظريها وازداد قلقها وتوترها ووجدت كيسى أن الحل الوحيد هو أن تبقى دائماً مشغولة فى أى نشاط يبقى ذهنها بعيداً عنه، ثم تأوى إلى فراشها آخر اليوم مرهقة منهكة فيخطفها النوم أول ما

تلمس الوسادة هكذا كانت تمنى نفسها.

لكن ذلك النوم الثقيل الخالى من الأحلام، وإن كان يحميها من الكوابيس فقد كان ينتهى دائماً فى الساعات الأولى من الصباح وتجد نفسها أمام يوم طويل لا نهاية له ينظر إليها ويتحداها فى سخرية أن تملأه دون فلينت.

أهو نسيم الذى مرق بين أشجار القطن أم هى التى تنهدت بكل هذا الحزن والتثاقل؟ تساءلت كيسى فى وجوم كان الصوتان كثيراً ما يختلطان على نحوٍ يجعلها تتساءل إن كانت الأرض تشاركها أحزانها كانت ساعة معصمها تخبرها أن الساعة هى التاسعة تقريباً لكن كانت الشمس قد طردت بالفعل برودة الليل وحملها تريضها على طول الشاطئ بعيداً عن الكابينة التى كانت جابى تعمل فيها على شاطئ البحيرة. تسلقت صخرة وتطلعت حولها عبر البحيرة لترى القوارب المتناثرة على صفحتها جلست على الصخرة وتركت أشعة الشمس تحرق كيانها الذى يوشك أن يهدمه الحزن.

- ليس هذا عدلاً !

تأوهت بينها وبين نفسها ونهضت واقفة على قدميها.

كانت الطبيعة كلها تتآمر ضدها حتى السحب الرمادية الباهتة فى الأفق تذكرها بلون عينيه.

توقفت كيسى قليلاً قرب حافة الماء ثم ألقت بنفسها وسط المياه الباردة التى بعثت فى بدنها شيئاً من الانتعاش ظلت تسبح فى انتشاء ثم

غاصت تحت سطح الماء سمعت صوتاً ينادى عليها وأحست أنه قريب جداً لكسر من الثانية ضربت الماء بقدميها وهى فى سبيلها الصعود على سطح الماء واصطدمت ذراعها بحائط صلب أمامها وانجذب بدنها كله ناحيتها ثم تلقت ضربة مؤلمة على رأسها أرسلت فى عروقها وخزات عنيفة من الألم ظل الماء يتكوم فوقها وينزاح جانباً وهى تقاتل فى يأس لتبلغ السطح، وهى تقاوم الألم العنيف الذى يقرع جمجمتها فى قسوة.

أمسكت يد بأحد ذراعيها، ثم أمسكت بالآخر وفجأة وجدت نفسها ترفع من الماء وتوضع على ظهر قارب شراعى صغير وقد استلقت على ظهرها تلهث فى جهد جهيد تعلقت أمامها أشرعة حمراء وذهبية وحاولت أن تركز نظراتها لترى من تحت قطرات الماء المتعلقة بأهدابها.

- هل أنت على ما يرام؟

كان هناك شبح ينحنى بجوارها يحاول أن يطمئن عليها دعكت عينيها بيديها

- لقد ناديت عليك، لكنك لم تسمعينى.

جلست كيسى وهى تحس بدوار خفيف منعها من أن تفعل ما هو أكثر من ذلك.

ردت قائلة:

- أنا بخير.. أشعر فقط ببعض البرودة.

رد فى سرعة:

- لدى بعض القهوة فى الترمس يفضل أن تشربى كوباً.

www.elromancia.com

ثم سار فى حذر تجاه مؤخرة القارب حيث كان سبتاً من الخوص وانتهزت كيسى الفرصة لتدرس المعتدى الذى تحول إلى منقذ.

لم يكن أكبر كثيراً منها، ربما فى الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين بهت لونه من أثر الشمس حتى كاد ينقلب أبيض كما كان طويلاً مقصوصاً بأسلوب مهلهل عندما استدار إليها وجدت أن لون عينيه هو ظل لامع من درجات الأزرق ومن المفارقات أن ما انطبع بذهن كيسى جيداً، ليس هو شدة وسامة الفتى، وإنما هو أنه لا يشبه فلينت بالمرة! بل فى الواقع كان على النقيض الكامل منه.

مد لها يده بقدح القهوة مبتسماً ابتسامة عريضة ودودة وانتظر فى صبر وأناه حتى احتستها كيسى وبثت فى بدنها شيئاً من الدفء.

ابتسمت له وقالت فى امتنان:

- شكراً إنها لذيذة.

سألها فى اهتمام:

- هل أصيبت رأسك إصابة بالغة؟ هل أصبت بارتجاج خفيف أو ما شابه؟

وأخذت عيناه الزرقاوان تفحصان وجهها وشعرها فى قلق واهتمام.

ضحكت فى توتر وأجابته:

- لست أدرى حقاً.

ثم تحسست رأسها بأصابعها إنها تؤلم لكنها مجرد كدمة.

أضافت:

- لست أظن ذلك مجرد رضة بسيطة.

هز رأسه وتنهد فى ارتياح قائلاً:

- الحمد لله.

ثم اعتدل فى جلسته ثم مد يده مصافحاً وأضاف:

- اسمى شيان، شيان سورنسون لقد كان من حسن حظى أن اصطدم بك يا آنسة؟

أكملت له فى رقة:

- كيسى جيلمور.

تحركت الأشرعة الحمراء والذهبية ثم انتفخت عندما ملأتها الرياح وفى الحال انطلق شيان يعمل فى همة ونشاط وقد أمسك بحبل وبمقبض المجداف. وشاهدته كيسى، التى لم يسبق لها أن ركبت على ظهر قارب شراعى، باهتمام شديد. وسرعان ما انطلق القارب يشق صفحة المياه.

ناداها شيان قائلا:

- ما رأيك فى جولة حول البحيرة؟ كنوع من التعويض عن تلك الضربة فى الرأس.

ترددت كيسى قليلا قبل أن تجيبه إنها لا تعرفه جيدا، حتى وإن كان لا يكاد يبدو خطيرا، لكن الاحتياط واجب.

أضاف عندما لاحظ ترددها:

www.elromancia.com

- أعدك بألا أسبب لك أية مشاكل!!

وتألقت عيناه بالضحك وهو يضيف:

وسابقى ملاصقا للشاطئ لكى تستطيعى القفز إلى الماء.

ضحكت كيسى قائلة:

- فى هذه الظروف أحب أن آخذ جولة فى قارب شراعى. لم يسبق لى أبدا أن ركبت فى واحد. ومع ذلك فهو يبدو ممتعا.

وعدها شيان قائلا فى مرح:

- فى هذه الحالة فى انتظارك برنامج حافل.

انزلق القارب فى يسر وسلاسة على صفحة الماء فى صمت وسكينة وكأنه بجعة جميلة. وأوفى شيان بوعده وأبقى القارب فى محاذاة الشاطئ. وأحست كيسى بأنها تعيش فى جو أسطورى ساحر، فقد كانت رحلتها صامتة ساكنة دون أن يعكر هدوئها الجلبة التى تحدثها المحركات. وبرزت من الماء أصابع صخرية، وكل تكوينه من الحجر الرملى ومن الصخر فريدة فى شكلها وفى هيكلها، وجميلة بشكل مدهش. وكانت الشواطئ الطويلة الممتدة على جانب البحيرة تتلألأ ببياضها الناصع، بينما كان الماء الذى أخذ يداعب أقدام الشواطئ، يعكس زرقة السماء الصافية من فوقها.

- هيه! كيسى! أين أنت؟!

ناداها شيان فى مرح. يبدو أنه كان يحدثها لكنها لم تكن هنا. استدارت تنظر إليه من وسط الدموع التى تعلقت بأهدابها. لكنها نفضت

هذه الدموع فى حزم. ولوحت له مشيرة بأنها قد سمعته.

عرض عليها قائلا:

- هناك مارينا فى المرسى القادم وبه مطعم ممتاز. هل تشعرين بالجوع؟

ابتسمت له موافقة وأكدت موافقتها بإيماءة إيجابية قصيرة. ثم استدارت تواجه البحيرة لكى لا تضطر للكلام. وبعدها بدقائق كان يناور بالقارب ليرسو به بجانب الرصيف، وهو يقوده فى كفاءة وخبرة إلى أن قفز أخيرا إلى الرصيف الخشبى وربط القارب فى إحكام. ثم أمسكت كيسى بيده التى مدها إليها يعاونها على النزول.

وفى المطاعم اختارت كيسى الهامبورجر والمقانق بينما اختار شيان شيئا أكثر إطعاما وتغذية. كانت شهيتها قد انقرضت فى الأيام القليلة الماضية، ولذا فقد أدهشها أن وجدت نفسها قادرة على إتمام ساندويتش الهامبورجر دون صعوبة تذكر. ومضى حديثها مع شيان، وهو شخص غريب تماما عنها، فى يسر وسهولة ملحوظة. كان حديثا خفيفا لينا لا يتعمق فى أى موضوع خاص.. علمت كيسى أنه طالب فى جامعة "كريتون" فى أوماها، ويعمل فى أوجالالا فى الإجازة الصيفية.

قال لها:

- أعمل فى أحد المنتجعات على الشاطئ، وأقوم بصيانة القوارب.. إلخ، وفى يوم عطلتى دائما أقضى أجازتى فى التجوال ماذا عنك؟ هل تعيشين هنا، أم تعملين هنا أم أنك هنا فقط فى إجازة؟

www.elromancia.com

ابتسمت له فى وجوم وأجابته:

- عائلتى تمتلك مزرعة ماشية هناك فى الشمال فى "ساند هيلز" انكسر فخذ أبى هذا الربيع عندما وقع من على ظهر حصانه وهو فى المستشفى فى سكوتسبلف. وقد استأجر رجلا ليدير له مزرعته. ولذا ولأن أمى فى المستشفى مع أبى، فقد اضطررت للإقامة هنا فى أوجالالا، بدلا من البقاء فى المزرعة مع رجل عازب.

ضحك شيان قائلا:

- فكرة عتيقة.. مع من تقيمين هنا؟

ترددت كيسى قليلا ثم قالت:

- جابرييل ماكاليستر. إنها أخت الرجل الذى استأجرناه.

صاح شيان قائلا فى انبهار:

- "ماكاليستر"! وصفر فى دهشة وتأمل كيسى بعينين جديدتين.

أضاف:

- لابد انها خدمة باهظة الثمن، ان كنت تقصدين عائلة بارونات الماشية هنا فى المنطقة.

أحست بتصلب فى عنقها قليلا. لم ترق لها المحادثة على هذا النحو. لاحظت أن توترها يزداد. لا شك أن شيان لا يقصد شيئا.

قالت أخيرا:

- لقد أراد أبى الأفضل.

أومأ برأسه موافقا وقال لها فى إعجاب بالغ:

- مما سمعت، لابد أنه قد ناله.

تململت كيسى فى كرسيها فى انزعاج وسألته:

- كم الساعة الآن؟ أعتقد أن جابى تتوقع عودتى قريبا.

نظر شيان بعفوية إلى معصمه الخالى ثم إلى الساعة المعلقة فوق باب المطعم.

أجابها قائلا:

- الواحدة إلا الربع.

حدقت كيسى فى الساعة فى دهشة بالغة. لم تبد نزهة القارب قد استغرقت كل هذا الوقت. دائما ما كانت تعود من الشاطئ بحلول منتصف النهار. لابد أن جابى بدأت تقلق عليها بشدة.

استدارت إلى شيان وقالت فى انزعاج:

- هل تمانع؟ أود فعلا أن أنصرف الآن. لم أكن أدرك أن الوقت قد تأخر هكذا.

ثم نهضت من كرسيها لتؤكد كلامها.

نهض شيان بدوره قائلا:

- أبدا.

أوصلها بالقارب بالقرب من المكان الذى انتشلها منه.

www.elromancia.com

قالت له كيسى رغم تعجلها:

- لقد استمتعت فعلا بالجولة وبالطعام أيضا.

رد وعيناه الزرقاوان تتفحصانها فى إعجاب:

- أود أن ألقاك ثانية يا كيسى.

ردت فى تردد:

- لست أدرى إلى متى ساظل هنا.

أجابها فى لطف:

- ربما نلتقى على الشاطئ. ليكن موعدنا إذن، اتفقنا؟

أجابته فى توتر:

- اتفقنا. يفضل أن أنصرف. سألقاك ثانية. وداعا يا شين.

ساعدته كيسى فى دفع القارب إلى الماء مرة أخرى ووقفت لتلوح له مودعة قبل أن تهرول ناحية المكان الذى تركت فيه حقيبتها وأشياءها قبل أن تنزل إلى الماء. لكنها لك تجد شيئا. لم تصدق كيسى عينيها. تطلعت حولها تبحث عن علامات المكان. أجل، إنه نفس المكان الذى تركت به أشياءها. بالطبع لقد غابت عنها مدة تكفى لأن تسرق. انطلقت نحو الكابينة، وهى تلعن نفسها لأنها كانت من الغباء ما جعلها تترك أشياءها ظاهرة لعين أى شخص.

- هل كنت تبحثين عن هذه؟

حدق فيها فليت بعينى خضراوين باردتين برودة صخور جبل

جليدى، وهو يمد إليها يدا تحمل أشياءها المفقودة. لم يكن شبحا، كما تخيلته عندما لاح لها من بين أشجار القطن. لقد كان هناك حقيقة يقف أمامها.

سألته بصوت لاهث:

- كيف.. كيف وصلت إلى هنا؟ ماذا تفعل هنا؟

رد فى غضب:

- أقتفى آثار الفتيات اللاتى لا يشعرن بالمسئولية!

غمغمت كيسى فى اضطراب:

-يفضل أن أعود إلى الكابينة لابد أن جابى قلقت على.

صاح فلينت فى حنق:

- قلقة!!

ثم خطا ناحيتها فى سرعة البرق وأمسك بمعصمها فى قوة مضيفا فى غضب:

- أيتها الفتاة الحمقاء! فيم تظنين أنى هنا الآن. إن جابى فقدت صوابها من القلق عليك!

شهقت من الألم قائلة:

- إنك.. إنك تؤلم معصمى.. اتركنى!

www.elromancia.com

رد فى حنق:

- إنك تستحقين ما هو أكثر من ذلك! عندما أفكر فيما سببته لجابى، افكر فى أن أخنقك بيدى هاتين وأرتاح منك!

حاولت التملص من قبضته لكنها لم تستطع.

أكدت له فى هدوء مصطنع:

- أعلم اننى قد تأخرت. كان ذلك رغما عنى. هدأت الرياح ولم تكن هناك رياح كافية لدفع الأشرعة. اضطر شيان للتجديف معظم الوقت أثناء العودة.

رد متهكما:

- افعل ذلك حقا؟ يا له من شهم! لابد أنك حمدت ربك على ذلك!

كانت نظرات الاحتقار فى عينيه تؤلمانها بأكثر مما تفعل قبضته الفولاذية حول معصمها. انفجر غضبها فجأة وتدفقت الدماء فى كفها الذى رفعته لينفجر فى وجهه. ولم تنبهها آلام كفها بحقيقة ما فعلت، ولكن تلك العلامات الحمراء على وجنة فلينت. وكان رد فعله أسرع مما توقعت إذا اختطف عصا كانت ملقاة على الأرض وانهال ضربا على جسدها دون أن يبال بصراخها وأناتها. أخيرا تركها بعد أن توقف عن الضرب وأخذ يتأمل دموع الغضب والإهانة التى انهمرت على خديها.

رمقته بنظرات نارية فصاح بها:

- هل تريدين أن تجربى ذلك ثانية؟

كان يقف أمامها ويداه فى وسطه وملؤ عينيه التحدى.

أضاف قائلا:

- لو كنت تحبين ذلك فسيسعدنى كثيرا أن أكررها معك!

أجابته بصوت مبحوح يقطر مرارة:

- إننى أكرهك! أكرهك!

رد ساخرا:

- أتعتقدين أن هذا يمكن أن يفاجئنى؟

أجابته بنظرات نارية:

- لا يهمنى ذلك! لقد سئمت معاملتك لى وكأننى طفلة. إننى فى الحادية والعشرين. كل ما أريده منك هو أن تبقى بعيدا عن حياتى، أن تدعنى وشأنى، ألا تفهم!

وكان من المستحيل عليها أن تطلب منه أن يبقى بعيدا عن قلبها.

رد فى حدة:

- لا تقلقى، فأنا أتطلع إلى ذلك اليوم الذى أستطيع فيه التخلص منك ومن مشاكلك. كل ما أريده الآن هو أن أسلمك بأمان إلى جابى.

www.elromancia.com

ثم قبض على معصمها مرة أخرى وجرجرها إلى حيث وقفت سيارته تتلألأ بين الأوراق.

دفعها فى المقعد الأمامى ورمى أشياءها خلفها ثم قفز خلف مقعد القيادة رماها بنظرة سريعة وكانما ليتاكد من انها لن تحاول الهروب. دس المفتاح فى شقه فى عجلة القيادة ثم توقف قليلا قبل أن يدير المحرك. كانت قد جلست متخشبة فى مقعدها ملتصقة بالباب ومحدقة إلى خارج السيارة. احست بأن عينيه عليها لكنها رفضت أن تنظر إليه.

قال لها فى وجوم:

- أريدك أن تعدينى بشىء يا كيسى.

التفتت إليه تسأله فى حدة:

- ألم تمل من لعب دور الزعيم مع الناس؟

قال متجاهلا كلامها:

- أريدك أن تعدينى بأنك لن تخرجى شاردة هكذا مرة ثانية دون أن تخبرى جابى بمكانك.

ردت فى سخرية:

- لماذا لا تجعله أمرا سياديا؟ فعلى أية حال أنت الرأس الكبيرة هنا.

رد وهو يمط حروفه:

- يمكننا تبادل الشتائم طوال النهار. كل ما أريده منك هو أن تعدينى هو ألا تجعلى جابى تنطلق خلفك فى مطاردة يائسة كهذه، وهى تكاد تجن عليك منذ التاسعة من صباح اليوم. إننى أطلب ذلك منك لأجلها هى. وليس لأجلى.

ردت فى تقطيب:

- هذا الصباح؟ ولماذا كانت تبحث عنى؟ إننى لا أعود من الشاطئ قبل الظهر. وهى تعمل دائما فى الصباح.

أجابها فى هدوء:

- لأننى اتصلت بها هذا الصباح وطلبت الحديث إليك. وسبب اتصالى لم يعد له أهمية الآن. وقد خرجت إلى الشاطئ لتبحث عنك ولم تجد إلا حذائك. وكان من الطبيعى أن تظن أنك نزلت للسباحة، ولأنها لم تشاهدك فى المنطقة كلها فقد كانت تخشى أن تكونى غرقت. الحمد لله أن جابى ليست من أولئك النساء اللاتى يفقدن رشدهن فى مثل هذه المواقف. وبدلا من أن تتصل بشرطة السواحل وتجعلهم يقلبون البحيرة رأسا على عقب بحثا عنك، اتصلت بى ووفرت علينا جميعا الكثير من الإزعاج إذ كنت تمضين الصباح كله مع صديقك "الاسكندنافى".

ردت فى وحشية:

- ليس صديقى.

www.elromancia.com

أجابها فى نفس الحدة:

- وانا لا يهمنى ماذا يكون بالنسبة لك، إن كان ابن عمك أو صديقك!

ولم يترك لها فرصة للرد وإنما أدار المحرك وانطلق. عضت كيسى شفتيها لتمنع انهمار دموعها إلى أن جعلها مذاق الدم فى فمها تدرك ما كانت تفعله.

عندما عادا كانت جابى تجلس فى الشرفة وتتفحص بعينيها الخضراوين ذلك التوتر المرتسم على وجهيهما.

احتضنتها جابى قائلة:

- كيسى، هل انت بخير؟ لقد سببت لنا رعبا هائلا. أين كنت؟

ردت فى سرعة:

- كنت فى جولة بقارب شراعى. آسفة لأننى لم ألق بالا للوقت.

علق فلينت ساخرا:

- لابد انها كانت سعيدة بالصحبة لدرجة انستها كم مر من الوقت.

كررت جابى وهى تنظر إلى كيسى:

- صحبة؟

ضغطت كيسى على أسنانها فى غضب وقالت:

- لقد قابلت ذلك الولد الذى يعمل فى أحد المنتجعات السياحية هنا وعرض على أن يصحبنى فى جولة بقاربه الشراعى ووافقت.

تلا ذلك صمت مقلق للحظات.. وبدا وكأنما فلينت هو الذى أمر بهذا الصمت حتى يبرز فى وضوح حمق ما فعلت.

بادر فلينت قائلا فى حسم:

-جابى أحضرى لنا عصيرا طازجا.

ولم يحول نظراته القاسية عن كيسى وهو يرعد بهذا الأمر.

رفعت جابى حاجبا داكنا تجاه كيسى قبل أن تنسحب فى هدوء خارجة من الشرفة. فجأة أصبحت حرارة العصارى أشد وأثقل ووجدت كيسى الجو فى الشرفة خانقا بشكل لا يطاق. اقتربت من السور الحديدى وتطلعت إلى البحيرة ومياهها الباردة المنعشة. ألقت نظرة مترددة إلى فلينت وقد بدأت معدتها تتقلص فى توتر شديد.

سألها فى لهجة مخيفة:

- ماذا تقصدين بقولك "قابلت هذا الولد"؟

أجابته فى توتر:

- ما قصدته بالضبط.

أدارت له ظهرها واتكأت بمرفقيها على السور الخشبى المحيط بالشرفة. قبضت على قضبان السور بأصابعها فى شدة ابيضت منها عقل أصابعها.

واصل استجوابه لها قائلا:

www.elromancia.com

- متى قابلتيه؟

أجابته بصوت غير مبالى:

- اليوم.

رد فى غضب ظاهر:

- أتعنين أنك قابلت غريبا اليوم وذهبت معه فى قاربه؟ أتسمحين لشخص غريب عنك تماما بأن يقلك فى قاربه! لست ساذجة إلى هذه الدرجة؟!

صاحت فيه:

- كفى تضخيما لأمر لا يستحق كل هذه الضجة!

دخلت جابى ورأت الوجوه الغاضبة فعلقت قائلة:

- يبدو اننى جئت فى وقت غير مناسب. سأذهب لأحضر بعض البسكويت.

رد فلينت فى لهجة جافة:

- لا داعى لذلك. يجب أن أعود إلى المزرعة. هل يمكنك أن ترافقينى حتى السيارة يا كيسى؟

تبعته وهى تجاهد لكى لا تسقط منهارة. كانت تتمنى لو أن جابى ذهبت معها. حينها لن يستطيع فلينت أن يعذبها بالمزيد من تعليقاته الجارحة. انتظرها فى أدب بارد لكى تسبقه. خطت أمامه بأرجل تصلبت عضلاتها وأخبرها الانزعاج البادى على وجهه بأنه لاحظ ذلك.

عندما وصلا إلى الشاحنة قالت له:

- أسفه لأننى جعلتك تقطع هذه الرحلة دون لزوم. كنت أتمنى لو كنت استطعت أن أغرق لكى لا تصبح رحلتك عديمة الفائدة.

تنهد فى وجوم وقال:

- حتى لو كنت ميتة فإننى أؤمن بأنك ستعودين لتطاردينى كالشبح.

فتح الباب وانزلق خلف عجلة القيادة ثم نظر إليها فى ضجر مضيفا:

- أعتقد أنه من غير المجدى أن أقترح عليك ألا تقابلى هذا الولد مرة أخرى.

ردت كيسى فى هدوء:

- أجل.

فقد كانت لا ترغب فى أن ترى شيان مرة أخرى.

أجاب وقد التوى طرف فمه فى تلذذ وهو يرمقها فى اهتمام:

- لا أظن أنك تخططين لرؤيته مرة أخرى. لكنك لا تريدين أن تجعلينى أنعم بمعرفة ذلك.

تمتمت فى نفسها:

- عليه اللعنة!

ثم هزت رأسها فى تحد وقالت بصوت عال:

- كان بإمكانى أن أحدد معه موعدا الليلة، هذا لعلمك فقط.

www.elromancia.com

رد فلينت بعينين ضاحكتين:

- اجل.. اجل لكنى لا أعتقد بشكل أو بآخر انك كنت ستفعلين.

أجابته فى ضيق:

- لقد صحبتك حتى شاحنتك يا سيد ماكاليستر. حان وقت انصرافك.

كانت ثقته المطلقة بانه على صواب تزعجها إزعاجا لا تقدر الكلمات على التعبير عنه.

رد ساخرا وهو يدير محرك السيارة:

- لا زلت شجرة السنط الشائكة البرية التى تحاول أن تخز من يقترب منها بأشواكها الحادة يا كيسى، أليس كذلك؟

ردت فى لهجة جافة:

- ليس مع كل الناس إنما مع الشخص غير المرغوب فيه فقط.

ثم استدارت على عقبيها وتقهقرت متجهة إلى الكابينة.

انطلقت السيارة فى طريقها واختلط صوت صريرها على الأرض المهدة بالحصى مع ضحكات قائدها.

ليس منه مهرب. اجل يا كيسى، لن تستطيعى الهروب منه أبدا..

مهما حاولت.

الهروب الأخير

- وهذا هو أبى، لوكاس ماكاليستر.

قالتها جابى واحتضنت فى حرارة ذلك الرجل الطويل الذى كان يشبه فلنت إلى درجة مزعجة.

وجدت كيسى صعوبة فى التطلع إلى هاتين العينين الرماديتين اللتين كانتا تشبهان كثيرا عينى فلينت عندما يكون مغتاظا. نفس الابتسامة الساخرة المدهشة، واحد طرفى فمه أعلى من الآخر، لكن شعر أبيه كان بنيا أكثر دكنة ويكاد يقترب من السواد مع لمسة من الأبيض عند الجبهة. لازال الرجل وسيما إلى حد ما لمن هو فى مثل سنه.

- كيف حالك يا كيسى جيلمور؟

صافحها فى حرارة وقد شتت دفء نبراته شيئا من توترها. نظرت فى تردد إلى عينيه لتستدفئ بذلك الوهج الدافئ فى نظراته.

www.elromancia.com

أضاف:

- لقد كنا نتمنى لقاءك منذ فترة.

تطلع لوكاس ماكاليستر فى ود بالغ إلى المرأة النحيلة ذات الشعر البنى المحمر التى كانت تقف إلى جواره. ابتسمت لها عينان لعوبتان خضراوان فى حرارة زادتها الخطوط الباسمة حول هاتين العينين الجميلتين. ولم تملك كيسى منع نفسها من الابتسام فى لطف مماثل.

ابتسمت السيدة قائلة فى حرارة:

- لقد سمعنا عنك كثيرا يا كيسى، لدرجة اننا نشعر انك جزء من الأسرة.

قضت تلك الكلمات الرقيقة على شىء من الهلع الذى كان يسيطر على كيسى.

ردت كيسى فى لطف:

- هذا لطيف جدا منك يا سيدة ماكاليستر.

فى الأيام القليلة الماضية، كانت كيسى تتمنى أن تجد والدى فلينت أناسا باردين متعجرفين لكى لا تقع فى حبهم أيضا. والآن بعد أن قابلتهما فعلا، فقد دمر ودهما الصريح ذلك الأمل تماما. بل إنهما بدوا وكأنهما يسحبانها رغما عنها إلى دائرة حبهما.

ردت أم فلينت وهى تضغط على يد كيسى:

- نادنى "مبج". لسنا أسرة تهتم بالألقاب الرسمية.

أمرتهما جابى فى مرح، بابتسامة فخورة لكيسى:

- هيا اسبقانا إلى الشرفة وسنعد أنا وكيسى الليمون والأكواب.

وكان عليها أن تؤكد لأمها أنهما ليستا فى حاجة إلى عونها قبل أن يخرج الأبوان إلى الشرفة تاركين جابى بمفردها مع كيسى.

بادرتها جابى بعينين متألقتين:

- كم أنا فخورة بأن لى أبوين عظيمين كهذين!

وافقتها كيسى قائلة:

-يبدوان ظريفين جدا.

وتطلعت على الأبوين المنصرفين إلى الشرفة وتذكرت حرارة استقبالهما لها بأسرتها التى بدأت تفتقدها.

تنهدت جابى وقد استدارت عيناها وهى تبع نظرات كيسى.

قالت فى أسى:

- باستطاعة أبى أن يسحر لب كل امرأة يقابلها. أيبدو غريبا أنه مع أخوة أربعة وأب هكذا أن يبدو كل الرجال الذين ألتقى بهم دون المستوى؟ يبدو أنه كتب على أن أعيش عانسا طيلة حياتى!

استدارت كيسى تنظر إليها وقالت ضاحكة:

- أشك فى ذلك.

لكن من وجهة نظر كيسى لم تكن تلك ملاحظة تستدعى الضحك.

www.elromancia.com

خصوصا عندما تقارن الآن من يمكن أن تلتقى بهم من الرجال فى المستقبل، مع فلينت. وكانت تشعر فى أسى بأنها من ذلك الصنف من النساء اللاتى لا يدق الحب أبواب قلوبهن سوى مرة واحدة فقط فى العمر. وبالنسبة لها فإن هذا الحب هو فلينت. الفارق الوحيد هو أنها لم يكتب لها أن تنال حبه، وهذا ما جعل مستقبلها يبدو فى عينيها كئيبا مظلما.

تناولت الصينية التى مدت جابى يديها بها إليها وبدأت تخطو ناحية الشرفة عندما مرت على المرآة الموجودة فى غرفة المعيشة أدهشها ذلك الوجه المشرق الذى حدق فيها من خلف المرآة. ففيما عدا تلك الظلال الداكنة تحت عينيها، كانت تبدو متألقة مشرقة كأى فتاة فى مثل سنها.

عندما دخلت الشرفة سألها لوكاس ماكاليستر:

كيف حال أبيك؟

- وضعت صينية المشروبات أمامه وأجابته:

- إنه أفضل كثيرا الآن. لقد بدا يحدث جلبة ويطلب أن يعود إلى المزرعة.

قهقه الرجل ضاحكا يقول:

علاقة جيدة بالنسبة لأى مزارع.

علقت ميج ماكاليستر فى خفة:

- وهذا يعنى أنهم سيبقون فى الفراش لأسبوع آخر على الأقل.

ضحكت كيسى قائلة:

- ستتفق أمى معك فى ذلك، لكننى مثل أبى سأميل إلى إبقاء الوضع الراهن على ما هو عليه.

رد الأب قائلا فى خفة:

- طبعا سيمر بعض الوقت قبل أن يستطيع أبوك التحرك كما تعود من قبل. ولابد أنه سيضطر للجلوس كثيرا ومشاهدة ما يحدث لبعض الوقت. لكن ابنى أخبرنى على أنك أكدت أكثر من مرة أنك تستطيعين إدارة المزرعة بمفردك.

ردت فى حدة كانت تقصد بها فلينت أكثر مما تقصد أباه:

- لم يعد عمل النساء قاصرا على الأشغال المنزلية.

ابتسم لوكاس ورد وهو ينظر إلى زوجته:

- ومع ذلك فتلك مسئولية ثقيلة على فتاة غضة مثلك. صحيح أن البنات الريفيات صلبة أعوادهن، لكن ليس هناك مشكلة فى وجود رجل بجانبك يمكنك الاعتماد عليه عندما تستدعى الظروف ذلك.

احمرت وجنتا كيسى خجلا عندما أدركت ما يرمى إليه بربطها بفلينت.

أضاف يسألها:

- كيف تسير الأمور فى المزرعة؟

www.elromancia.com

ردت فى ارتباك:

- إننى لست ادرى حقا.

أمال رأسه ناحيتها وسألها:

- كنت اظن أن فلينت كان هنا لزيارتك هذا الأسبوع؟ أظن أنه جاء ليناقش معك العمل. ربما كان أمرا شخصيا إذا؟

ردت فى تلعثم:

- لقد.. قد.. كانت ظر.. ظروفا غريبة هى التى.. استدعت حضوره. كما انه يتناقش مع أبى فى كل.. شىء.

كركر ضاحكا وأجابها:

- طبعا.. طبعا لست أقصد مضايقتك يا كيسى، لكننى لا أظن أن ابنى يمكن أن يناقش امرأة فى العمل مهما كانت متحررة.

تدخلت ميج تغير الموضوع قائلة:

- لقد حدثنا فلينت عن أفراد أسرتك كثيرا لدرجة أننى أنا ولوك، نتمنى أن نلقاهم قريبا جدا.

وانتهزت كيسى الفرصة، بعد أن زالت صدمة لقائها بشخص يشبه فلينت كل هذا الشبه، وبدأت تتأمل ملامح أمه. كان شعرها أكثر حمرة من شعر فلينت، رغم أنه كان ملبط بالرمادى على نحو أنيق، وعندما تبتسم، كما تفعل الآن، تظهر غمازتان لطيفتان على خديها.

سألتها ميج:

- هل تعلمين أن فلينت لم يقرر الموافقة على العمل إلا بعد أن التقى بابيك؟ إن فلينت يحترمه كثيرا.

ردت كيسى قائلة:

- وأبى كذلك يقدره كثيرا. إن مجرد معرفته بأن شخصا فى مثل خبرة ومعرفة فلينت هو الذى سيتولى العمل، سهل على أبى كثيرا تقبل حقيقة انه سيضطر للبقاء فى المستشفى. كما أن ذلك أراح عقل امى كذلك، خصوصا وهى يتعلم أن هناك رجلا يتولى المسؤولية.

سمعت صوتا من خلفها يقول:

- إن بك سمة غريبة يا كيسى. تمدحين الرجل فى ظهره وتلعنينه عندما ترينه. شىء غريب.. غريب جدا!

هرب الدم من وجهها على وقع ذلك الصوت. وكادت تسقط دورق الليمون أرضا وهى تستدير لتواجه صاحب الصوت. كان فلينت يقف خلفها تماماً وينظر إليها بابتسامة رضا واسعة عل وجهه. كانت تريد لحظتها أن تجرى وأن تختبئ بعيدا عن عينيه، لكن نظراته الساخرة نومتها مغناطيسيا.

أضاف قائلا:

- لقد أحضرت مارك معى، لكننى أظنه ذهب ليتفرج على الشاطئ. إنه خبير وعلامة بكل أنواع السمك المختلفة التى توجد فى البحيرة.

أطلقت عيناه راحها وهو يستدير إلى أبويه قائلا:

- أبى، أمى، هل قررتما أن تقضيا العطلة الأسبوعية على سطح الماء؟

نهض لوكاس وتناول يد ابنه قائلا:

- أخطط لأن الحق جدودى. لقد فاجأتنا جميعا. لم نكن نتوقع أن نراك.

وفى نظرة متعاطفة على كيسى التى بدت ذاهلة.

تتبع فلينت نظراته وقال:

- لا تعبأ بها. إنها عادة تكاد تطير من الفرح لرؤيتى.

ثم استدار إلى أمه وأضاف:

- إن أذناى كانتا تأكلانى طوال الثلاثين ميلا الأخيرة. لابد أنكم كنتم تتحدثون عنى.

صاحت جابى فى مرح:

- يا لغرور الرجال!

ثم ناولته كوبا من الليمون الثلج ودفعته ليجلس فى كرسى قريب.

ابتسمت ميج ابتسامة شملته وتعدته إلى كيسى وقالت:

- لقد ناقشناك جزئيا وبشكل غير مباشر.. لقد كنا فى واقع الأمر نتعرف على كيسى، ولذا إن كان اسمك قد ذكر، فإنما كان ذلك

بشكل عرضى.

ساله أبوه:

- ما أريد أن أعرفه يا فلينت، هو لماذا لم تخبرنا قبل ذلك بأن كيسى فتاة غاية فى الجمال إلى هذا الحد؟

ثم مال ناحية ابنه وأضاف:

- لطالما كنت أظن أن لك نظرة فى النساء.

امتقع لون كيسى بشدة. لم تكن تدرى كم ستتحمل من شغل الخاطبات التى تقوم به هذه الأسرة، خصوصا وفلينت يراقب ردود أفعالها بكل هذا الاهتمام. ولم يفدها كثيرا أن تطمئن نفسها بأن كلام الأب ما هو إلا هزار حسب النية، وكان واضحا جدا ألا أحد سيهرع إلى نجدتها. لكن بالطبع لا أحد منهم يدرك مدى الألم الذى كان يسببه لها هذا الهزار. إن فلينت ليجد متعة كبيرة فى إغاظتها بهذا الشكل!

اندفع مارك إلى الشرفة صائحا:

- إيه يا أُخَيَّة! هنا مكان رائع فعلا! يا ليتنى أقيم هنا أسبوعا. يمكنك أن تحلى محلى فى المزرعة وقتما تشائين.

نهضت كيسى لتحييه وتتمنى لو استطاعت أن تتعلق به وكأنه طوق نجاة. إن مجرد وقوفها إلى جواره يبث فيها الكثير من الشجاعة، عندما يتكلم فلينت ليقدم مارك إلى أبويه.

قال مارك بعدما ذكر فلينت أن أبويه هنا من أجل الصيد:

www.elromancia.com

- سمعت أن الصيد هنا رائع.. وسمعت أن البعض اصطاد أسماكا بأحجام مدهشة، أليس كذلك؟ لقد سمعت أن الناس يأتون من تكساس إلى هنا ليصطادوا.

التقط لوكاس ماكاليستر طرف الموضوع، وهو ما شكرته كيسى كثيرا فى نفسها عليه إذ غير دفة الحديث بعيدا عنها. وأعطاها ذلك فرصة لالتقاط أنفاسها، بينما انهمك فلينت وأبوه فى الحديث مع مارك عن الصيد وسنينه. كان شيئا مؤلما جدا أن تتفحص ملامح فلينت دون أن يدرى، أن تسجل فى ذاكرتها للأبد وسامته الأسرة وقسماته الأخاذة.

أعلنت لهم جابى فى هدوء قائلة:

- حان وقت الغداء.

ورمقت كيسى بنظرات تعاطف مع الألم الذى يشع من عينيها.

أضافت تخاطب كيسى:

- هل تودين مساعدتى حقا..؟

وافقتها كيسى قائلة:

- طبعا.

وتفادت، بشكل أو بآخر نظرات فلينت التى التصقت بوجهها.

ربتت جابى على ذراعها وهما تدخلان المنزل قائلة فى لطف:

- أسفه لأننى فاجأتك. لكن أحيانا يكون وجهك شفاف بدرجة

فظيعة. لا أظن أنك كنت تريدين رؤية فلينت، رغم أننى كنت أود ذلك لأخبره أى غبى وأحمق هو.

غمغمت كيسى:

- شكرا لك على كل حال.

وأدركت مدى الخجل الذى كانت ستشعر به لو أن فلينت تطلع إليها قبل قليل وضبط نظرات الحب المتفجرة من عينيها.

أضافت فى وجوم:

- ليس خطؤه أنه لا يحبنى. إنها فقط أقدارنا التى تريد لنا ذلك.

ردت جابى فى سخرية:

- بعض الناس يصابون بالعدوى لكنهم يتجاوزونها سريعا!

ضحكت كيسى ضحكة مهمومة قائلة:

- تجعلين الأمر يبدو وكأن انكسار القلب يدوم للأبد.

لكن جابى نظرت إليها بعينين متسائلتين تقولان: "ألا يفعل ذلك؟"

كانت كلتا الفتاتين تدركان أنه ليس من الحكمة مناقشة الموضوع أكثر من ذلك. كانتا تشكلان فريقا صامتا واجما، وهما تستعيدان صينية الساندويتشات المعدة مسبقا من الثلاجة، بالإضافة إلى السلطات والبطاطس المقلية. واستغرق الأمر مجرد مشوارين من وإلى الشرفة حتى صار كل شىء جاهزا. ولم يتبق سوى إحضار طبق من سلطة البطاطس

www.elromancia.com

مع مناديل السفرة وادوات المائدة الفضية. واندهشت كيسى قليلا عندما عرض عليهما مارك أن يساعدهما، فما كان معتادا على المساعدة، حتى ولو كان الأمر يخص معدته الخاوية. وازدادت دهشتها عندما وجدته، عندما دخلوا إلى المطبخ، يذرع المكان جيئة وذهابا فى توتر.

بادرته فى سخرية:

- ليست هذه عادتك يا مارك، أن تتطوع بالمساعدة فى "أعمال النساء".

رمقها فى اهتمام وقال بصوت خفيض:

- أريد التحدث إليك يا كيسى. لقد عرض على السير ماكاليستر للتو أن يصطحبنى فى رحلة الصيد، ولا أظن أننى ستتاح لى الفرصة للحديث معك على انفراد بعد ذلك.

سألته فى قلق:

- ما الأمر؟ من المؤكد انك لم تعد صغيرا لتستأذن للموافقة على دعوة الرجل.

قطب جبينه قائلا:

- لا، لم اقصد ذلك، ستعودين إلى المزرعة بعد اسبوع وهناك امر يجب أن تعلمى به واعتقد انه من الأفضل أن يخبرك به أحد افراد اسرتك، بدلا من ان تسمعى به من الأغراب.

ودت كيسى لو استطاعت أن تستحثه ليسرع بإخبارها ما يريد، لكن لهجته الجادة جعلتها تدرك أن الأمر صعب عليه ان يشرحه ويزعجه

كذلك أن يفعل. ولم تجد فى ذهنها شيئا، أيا كان غريبا، يمكن أن يهم مارك إلى هذه الدرجة، كما انه لا يمكن أن يكون شيئا يتعلق بفلينت.

اندفع مارك يقول وقد وضح خجله:

- منذ غادرت وسميتى يواعد بريندا فيرلى.

تنهدت كيسى فى ارتياح بينما واصل هو كلامه قائلا:

- يوم أن غادرت خرج معها. ذهب معها إلى أحد المطاعم وبدأت تلعب عليه كما تفعل دائما. صحيح أن سميتى حاول أن يبعدها عنه، لكنها استخدمت الأسلوب البدائى وكادت تقبل حذاءه معتذرة. ومن ساعتها وهما لا يفترقان. والآن هناك شائعات بأنها لن تعود إلى الكلية هذا الخريف.

ثم نظر إلى أخته ليرى وقع كلامه عليها.

لم تكن الدموع التى انهالت من عينيها من أجل فقدانها لسميتى، لكن بسبب ذلك الإخلاص الأخوى المفاجئ الذى أبداه مارك تجاهها. ودت لو أحاطته بذراعيها واحتضنته فى عنف، لكنها كانت تعلم أنها لن تستطيع أبدا أن تفعل ذلك. أما هو فما كان أمامه سوى أن يظن أن هذه الدموع التى ذرفتها إنما كانت حزنا على خسارتها لسميتى.

أجابته بصوت واهن لكن بابتسامة صادقة:

- شكرا لك على إخبارك لى بالأمر.

رد قائلا:

www.elromancia.com

- حسنا، كنت أعلم أنك وسميتى كنتما رفيقان مخلصين.. وظننت أن.. حسنا، انه سيكون من الأسهل لو عرفت قبل..

قاطعته كيسى فى بساطة:

- أجل هو كذلك.

ثم تلفتت حولها فى سرعة وتوقفت نظراتها على الإناء الكبير الموضوع على المنضدة.

أضافت قائلة:

- هيا خذ سلطة البطاطس، وساحضر الباقى خلال دقيقة.

رد قائلا فى لطف:

- لو أردت، لأخبرتهم أنك اضطررت لغسل الأوانى الفضية أو ما شابه. أقصد لو كنت بحاجة إلى بعض الوقت من أجل..

طمأنته قائلة فى سرعة:

- سأكون بخير يا مارك بل إننى بالفعل على ما يرام.

وهذا فعلا ما كانت تشعر به لحظتها. بل إنها ابتسمت لمارك وهو يغادر الغرفة. وقالت لنفسها أنها سعيدة من أجل سميتى وبريندا، واتكأت على الحوض. يا لسميتى الطيب المخلص! ارتعدت شفتاها واغرورقت عيناها بالدموع. هذه المرة لن يكون هناك، ليس حتى كصديق، لأن بريندا لن تفهم أبدا. وليس معنى ذلك أن سميتى سيستطيع تخفيف الامها. حدثت نفسها ودمعتان ساخنتان تنحدران على وجنتيها. لقد حذرها من قلبت أن

يقول لها: "لقد حذرتك منه"، بدلا من أن يواسيها فى محنتها. ورغم كل ذلك، فقد أحست أن هذا الخبر كان بمثابة نزع حجر آخر من الأحجار التى تشكل أساس حياتها المزعزعة.

- هل أخبرك مارك انه سيذهب للصيد مع أبى؟

أتاها صوت فلينت فجأة فتصلبت عضلات وجهها.

أجابته دون أن تلتفت:

- أجل.

اقترب منها قائلا:

- أعتقد أننا يمكن أن نستقل السيارة لنزور أباك.

ردت فى استسلام:

- كيفما تشاء.

كان صوتا مبحوحا. لقد أحست فجأة بأنها منهكة عاطفيا لدرجة لا تستطيع معها الجدال معه، لذا شغلت يديها بالأدوات الفضية الموضوعة على المنضدة أضافت:

-ساخرج بمجرد أن أجمع هذه الآنية.

رفع ذقنها بسبابته وقال فى رقة:

- لقد سمعت ما قاله لك مارك. لم أكن أظن أن ما فعله سميتى سيؤثر عليك إلى هذا الحد.

www.elromancia.com

لم يكن هناك من سبيل لئلا يلاحظ الدموع المنحدرة على وجنتيها.

أزاحت يده قائلة:

- هناك الكثير عنى وعن عواطفى التى لا تعرفها يا سيد ماكاليستر.

ثم مسحت آثار الحزن المتجمعة على وجهها.

رد فى انزعاج:

- فى كل مرة أظن نفسى فيها قادرا على فهمك، أجدك تغيرين لونك كالحرباء.

أجابته بنظرة تائق فيها التحدى:

- كنت من قبل شجرة سنط والآن أصبحت حرباء! ها أنت نفسك لا تثبت على رأى!

- هل ناقشت ذلك مع فلينت؟

سألتها لوسيل جيلمور وهى تتفحص بعينيها الزرقاوين وجه ابنتها الذى يعتصره التوتر.

صرخت كيسى قائلة:

- مع فلينت؟ وما شانه بهذا؟ أى دخل له بهذا الأمر؟ إذا لم أستطع الإقامة مع الخالة جو فساقيم فى أى فندق. لكننى لن أعود إلى هناك مرة أخرى.. أبدا!

بعد رحلة طويلة، بدا أنها لا تنتهى، من أوجالالا إلى المستشفى فى

سكوتسبلف مع فلينت، كانت كيسى قد وصلت إلى نقطة الانهيار. ولم تعد تبال بالمرة إن بدا ما تفعله جبنا، وشكلا من أشكال الهروب. كل ما كنت تعنيه جيدا هو أنها لن تستطيع أن تحتمل هذه الرحلة الطويلة معه فى طريق العودة إلى جايى. وكان ألم قربها منه إلى هذه الدرجة، وإلى اضطرارها للحديث معه، ألما يفوق كل طاقة على الاحتمال. ولهذا السبب لم تضع كيسى وقتا لإقناع أمها بأن تخرج معها إلى ردهة المستشفى حيث عرضت عليها مطلبها المؤلم ذلك.

أجابتها أمها قائلة فى لطف:

- يا عزيزتى، ليست المسألة إن كانت الخالة جو لديها مكان لك أم لا. طبعا ستقبل وجودك معها.

أحاطت كيسى بذراعيها تربت عليها وأضافت:

- لقد كانت تلك ملاحظة غبية منى كذلك أن أسألك إن كنت أخبرت فلينت أم لا. ففى مثل هذه الظروف، لا يحتمل أن يحدث ذلك، أليس كذلك؟

وتغير وجه أمها قليلا عندما حدقت كيسى فيها. ترى هل تعلم أمها بحقيقة مشاعرها تجاهه؟ تراها خمنت وأصابت فى تخمينها؟

واصلت أمها قائلة:

- أى أم يمكن أن أكون عندما لا أعلم إن كانت ابنتى الوحيدة قد وقعت فى الحب أم لا؟

www.elromancia.com

ثم دست يدها فى حقيبتها وأخرجت سلسلة مفاتيح ناولتها إليها قائلة:

- هذه مفاتيح سيارة الخالة جو فى ساحة الانتظار. ساعتذر انا لأبيك ولفلينت وأخبرهما باى ذريعة لذهابك. هيا اذهبى الآن وسنتحدث فيما بعد.

احتضنتها كيسى فى حرارة قائلة وهى تقبض فى قوة على مفاتيح الحرية:

- أوه يا أماه! شكرا.. شكرا لك!

وأفلحت فى رسم ابتسامة على وجهها المتجهم قبل أن تهرول مغادرة المستشفى كانت ساحة الانتظار مكتظة بسيارات الزوار. تفحصت كيسى بنظراتها المكان بحثا عن سيارة خالتها الصفراء. وتسلل الانزعاج إليها عندما لم تقع عيناها عليها. كان يجب أن تكون هنا! كان يجب أن تجدها هنا!

والشىء الثانى الذى أدركته هو أن يدين قويتين قبضتا على كتفيها ودفعتها دفعا تجاه شاحنة المزرعة التى أوصلتها إلى هنا. ولمحت سيارة صفراء سيدان فى الصف التالى. ولم يضع فلينت وقتا فى الشكليات وأدخل كيسى عنوة إلى المقعد المجاور لمقعد السائق.

قبضت على مقبض الباب تحاول فتحه.

بادرها قائلا:

- لا تضيعى وقتك إنه مغلق بالمفتاح.

ثم أمسك بيدها ليتأكد من عدم هروبها وادار السيارة وبدأ يتراجع

بها بذراعه الحرة.

صاحت فيه فى غضب:

- أخرجنى من هذه السيارة!

وأخذت تلوى معصمها للتخلص من قبضته القوية لكى تفر إلى السيارة الصفراء.

رماها فلينت بنظرة باردة قبل أن يعيد نظراته الغاضبة إلى الطريق من أمامه.

قال لها فى لهجة جافة:

- لم أكن أظن انك من هؤلاء النساء اللاتى يهربن عندما تجرح مشاعرهن. افقط لأن ولدا طائشا..

ثم سحب نفسا عميقا ولم يكمل جملته.

صاحت به:

- إنك تؤلم ذراعى أرجوك!

ولم تحاول إخفاء الألم فى صوتها وهى تندفع صارخة فيه بكل ما استطاعت من حدة:

نظر إليها نظرة ذات مغزى فقالت:

- لن انتحر بإلقاء نفسى خارج السيارة وهى تسير بكل هذه السرعة!

خفف سرعة السيارة وأطلق يدها. كانا يسيران الآن على طريق

www.elromancia.com

غطى الحصى أرضه وقد تركا المدينة وراءهما. كانت هناك عدة منازل متناثرة ثم ترامى الريف أمامهما، وتراءت حقول مهجورة من المحاصيل المروية وسط التلال المتدحرجة. وفى النهاية أوقف فلينت السيارة على جانب الطريق. أشاحت كيسى بنظراتها إلى صخرة رملية بعيدة، وهى تقاوم الرغبة العارمة بالالتفات استجابة للعينين الرماديتين اللتين كانتا تستحثانها على النظر إليهما.

قال لها فى صوت خفيض هادئ:

- أعلم أنها كانت ضربة مؤلمة أن تسمعى ما سمعت عن سميتى. لكنها ستمر يا كيسى. كل ما عليك هو أن تعطى نفسك الوقت الكافى.

غطت أذنيها بيديها وأجابته فى ألم:

- كف عن نصائحك السخيفة هذه!

سألها فى لطف:

- لماذا تلتصقين بالباب هكذا؟ إننى فقط أحاول مساعدتك.

كان صوته الرقيق ودفء نبراته يمزقان شغاف قلبها. من المستحيل عليها ألا تتأثر بكل هذه الرقة.

قال لها فى رقة بالغة:

- ستقابلين يوما من سيعنى لك الكثير.

هذه المرة استدارت لتواجه العينين الغائمتين. حدقت فى وجه الرجل الذى تعشقه فوق كل شىء.

افلتت من بين شفتيها صرخة تقول:

- لا.. لا لأن افعل أبدا!

تطايرت شرارات من عينيه قبل أن يخمدها فلينت قائلا:

- بل من الطبيعى أن تفعلى.

كان فى صوته نبرة تأكيد قاسية.

ردت قائلة:

- انت.. انت.. طيب جدا يا فلينت.

أشاحت بنظراتها بعيدا وهى ترفرف بجفنيها لتطرد تلك الدموع التى بدأت تنساب.

أضافت:

-لكن.. لكن.. لم يعد ذلك.. يجدى الآن.

تأوه قائلا فى ألم هائل:

- يا إلهى، أرجوك لا تبكى يا كيسى. لا أحتمل أن أراك تبكين.

صرخت فى أسى هائل:

- أرجوك! كفى! كفى!

ضحك قائلا فى مرارة:

- لقد أخبرتنى حالى اليوم اننى أغبى إنسان لأننى كنت أعامل

www.elromancia.com

بتلك الطريقة التى كنت أعاملك بها. لكن ما لم تعرفه هو أننى لم أجد سوى هذه الطريقة لأبتعد عنك. فقد كنت أريد الاقتراب منك لنتفاهم.

ارتسمت ابتسامة واهنة على شفتيها فأضاف فى غضب:

- أيسعدك ذلك؟

ردت قائلة وقلبها يكاد فرحا:

- لا.

تمتم قائلا فى مرارة:

- كنت أظن أن هذا سيسعدك.

أسكتته بيدها قائلة:

- هل تقصد أن تقول أنك تحبنى؟

صاح بها فى حدة:

- إن كنت تريدين الحديث بشكل مباشر، فنعم أنا أحبك.. أحبك هل تفهمين؟

حبست أنفاسها من العنف الذى تفجر فى صوته. أغمضت عينيها لتهضم طعم هذه اللحظات التى لا تتكرر كثيرا فى حياتنا.

ثم فتحت عينيها وصاحت به فى حدة مماثلة:

- سيكون من العدل أن أخبرك أن.. أن هذه الدموع التى رأيتها إنما سالت من أجل رجل كنت أظن أنه لا يرى فى إلا شجرة مليئة بالأشواك.

غمغم فى دهشة:

- هل تقصدين أن سميتى..

قاطعته فى هدوء أدهشها:

- أقصد أننى أحبك أنت يا فلينت.

صمتت لحظات بدت طويلة.. طويلة ثم تنهد فى ارتياح بالغ وقال:

- أوه! عندما أفكر فى الجحيم الذى جعلتنى لأعيش فيه، تحدثنى نفسى بكسر عنقك هذا!

أحست كيسى بفراشات السعادة تتراقص فى قلبها لنبراته الدافئة رغم عنفه.

أضاف:

- لم أكن أصدق أنك لا تحبيننى، لكنك أنكرت حبك لى بعنف بالغ فى اليوم الذى أخذتك فيه إلى حابى لدرجة أننى لم أستطع إلا تصديقك. لكننى كنت أريد بشكل فظيع أن تتعرفى على أسرتى كما تعرفت أنا على أسرتك.

ردت قائلة:

- كنت أظن أنك تريد أن تتخلص منى وحسب، وأنك كنت تخشى أن أطلب منك .. منك..

أكمل لها قائلا:

www.elromancia.com

- أن تطلبى منى أن أتزوجك؟

ابتسم فى سعادة من ذلك الاحمرار الجميل الذى غزا وجنتيها.

أضاف:

- لقد قررت أن أتزوجك فى ذلك اليوم الذى اعتذرت فيه لى بكل هذه الروعة وبكل هذه الرقة هل تذكرين؟

أجابته فى حياء هائل:

- أجل.

تابع قائلا:

- والآن سافعلها.

رفعت عينيها دهشة فواصل قائلا:

- سنتزوج بمجرد أن نحصل على الترخيص.

توقف قليلا وتفحصها بنظراته فى شوق بالغ.

أضاف فى صوت شاعرى حنون يفيض بالأشواق الناعمة:

- وسيكون فستان الزفاف فى بياض أزهار السنط.

كانت كل ذرة فى كيانها تشعر بنشوة لا مثيل لها على وجه هذه الأرض.

وافقها فلينت قائلا:

- طبعا.

واحتضنت نظراته كل قسمة من قسمات وجهها الجميل.

أضاف فى خفة:

- لكننى أخشى أن يستغرق ذلك منك وقتا طويلا، ولا أعتقد أننى ساستطيع الانتظار اكثر من ذلك!!

شهقت كيسى قائلة:

- أوه! أنت صاحب الرأى... فلتقرر ما تشاء!

www.elromancia.com